الباب الثالث

النظام الحربي في الحبشة العصور الوسطى

1- النشأة العسكرية

2- عناصر الجيش الحبشي .

3- أقسام الجيش وإداراته .

4- الشفتا ودورهم العسكري في الحبشة .

5- دور الرقيق في الجيش الحبشي .

6- حجم الجيش الحبشي .

7- التدريب القتالي .

8- الموكب والمعسكر الإمبراطوري .

9- الأعلام والرايات في الجيش الحبشي .

10- ملابس القتال .

11- الأسلحة والمعدات .

12- ظهور البارود واستخدامه في الحروب .

13- الإقطاع العسكري {نظام الجلت Gult} .

14- المناصب الحربية .

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الأحباش، فهو أداة للحكم والحرب معًا، وعماد المملكة، إذ كانت الحكومة الحبشية جيشًا قبل أي شيء آخر، وكان أغلب كبار الموظفين هم في نفس الوقت قادة الجيش، ومن هنا يمكننا القول بأن الحكومة الحبشية والجيش الحبشي في العصور الوسطى كانا وجهين لعملة واحدة. إلى جانب أن الروح القتالية كانت قد تأصلت فيهم لطول ممارستهم حياة البداوة، ويذكر أن الاهتمام بالجيش لم يكن في العاصمة وحول الإمبراطور فحسب، بل امتد الاهتمام به إلى جميع المقاطعات، فقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة جيش كبير[1]، لذلك كان الجيش الحبشي سببًا من الأسباب الرئيسية في نجاح الدولة وتفوقها على أعدائها، لأنه كان يمثل عصب الحكم وإدارته في المملكة[2].

وسوف نلقي الضوء أولًا على النشأة العسكرية في الحبشة لمعرفة أهمية أهتمام الأحباش بالجيش عامة في تلك العصور.

1-النشأة العسكرية

لقد أولى الأباطرة والملوك الأحباش اهتماما بالغًا بالتنشئة العسكرية لأبنائهم، فقد اهتموا بتربيتهم على فنون الحرب والقتال وإتقانها. ولم يقتصر هذا الاهتمام على مجرد التنشئة العسكرية لأبناء الأباطرة فقط، بل امتد ليشمل أولاد النبلاء وحكام المقاطعات وأبناء الطبقة العليا وحتى الجند أنفسهم.

أ- التنشئة العسكرية لأبناء الأباطرة

تبين المصادر والمراجع التاريخية مظاهر اهتمام الأباطرة الأحباش بالتنشئة العسكرية لأبنائهم، نذكر منها اهتمام الإمبراطور يجيبا صيون

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea, p59.

2- G.W.B. Huntingford: The Glorious Victories of Amda Tseyon, King of Ethiopia, Clarendon Press, Oxford, 1965,p.76 see also Sergew Hable Selassie: op, cit., p.19.

(684-694هـ/1285-1294م) بتدريب أبنائه وخلفائه الخمسة على فنون الحرب وإدارة شؤون الحكم[1]. كما اهتم الإمبراطور ودم أرعد (699-714هـ/1299-1314م) كذلك بتربية ابنه وخليفته الإمبراطور عمدا صيون الأول (714-745هـ/1314-1344م) على فنون الحرب والقتال وهو ما اتضح فيما بعد في حروبه مع مسلمي بلاد الزيلع[2]. وأخيرًا فقد اجتهد الملك لبنا دنجل (914-947هـ/ 1508-1540م) جهد طاقته في تربية وتنشئة أولاده على فنون الحرب والقتال[3]. حيث أولى اهتمامًا خاصًا لتدريب جلادويوس Gelawdewos (947-967هـ/1540-1559م) على هذه الفنون، ولذلك نشأ محبًا للخيل متقنًا لفنون الرمي والصيد واستخدام السيف وهو ما يؤكده النص الحبشي[4].

ولقد أدى اهتمام هؤلاء الأباطرة بالتنشئة العسكرية للأبناء إلى تأهيلهم لقيادة الدولة الحبشية، وإدارة معاركها بعد أن أصبحوا ملوكًا لها، وقد أسهمت هذه التنشئة - إلى حد ما - في تولي أكثر ملوك هذه الأسرة للقيادة العامة للجيش الحبشي، بل أنهم كانوا يقاتلون بأنفسهم في أرض المعركة نظرًا للتدريب المبكر لهم على ذلك[5]. فقد غزا كل من الملك إسحاق ولبنا دنجل بلاد المسلمين وباشروا بأنفسهم القتال حتى قتلوا في هذه المعارك. كما يذكر بعض المؤرخين أن الإمبراطور جلادويوس دخل أرض المعركة حيث كان يجيد فن الرمي بالقوس، مع

---

1 - Budge: op, cit , P.273.

2 - Ibid,p.277.

3 - كما تربى لبنا دنجل نفسه كذلك من قبل والده ناؤود بن أدماس (900-914هـ/ 1494-1508م). انظر:

- Taddesse Tamrat: op, cit , pp.274-175.

4 - "من بعد ذلك تعلم ركوب الخيل والرماية وصيد الحيوانات وكل فنون الحرب كعادة أبناء الملوك". انظر:

W. Conzelman: op, cit ,pp7-8.

منال عبد الفتاح محمود عبد الله: المرجع السابق، ص24.

5 - Taddesse Tamrat: op, cit , p.276.

استعمال الأسلحة مع مهارة كبيرة في ركوب الخيل. وهكذا أكسبت التنشئة العسكرية لأباطرة الحبشة مهارات عسكرية مكنتهم من قيادة الجيوش في أرض المعارك، وخوض غمارها وتحقيق النصر في العديد من المعارك التي خاضوها[1].

ب- التنشئة العسكرية لأبناء النبلاء وحكام المقاطعات

لم يقتصر أمر التدريب على أبناء الأباطرة فقط، بل اتبع نهجهم في ذلك أولاد النبلاء وحكام المقاطعات وأبناء الطبقة العليا، فالمفروض في أولادهم الذين لم ينخرطوا في سلك الحياة الدينية أن ينخرطوا في الحياة العسكرية ويتدربوا منذ حداثتهم فيتعلمون ركوب الخيل واستخدام السلاح ومبادئ الفروسية، حتى إذا ما شب الواحد منهم انخرط في سلك بلاط أحد الأمراء كتابع صغير أو سيد صغير ليتعلم آداب السلوك في المجتمع[2].

ولقد كانت عملية التنشئة العسكرية لأبناء النبلاء وحكام المقاطعات تبدأ في سن مبكرة من سن السابعة أو الثامنة من عمر الأبناء، حيث يرسل هؤلاء الأبناء للعيش مع الأمراء في القلاع بحيث يكونوا مسؤولين من حاكم المقاطعة، وبذلك يتدرب الأمراء الشبان هناك ويتعلمون المهارات الاجتماعية الأساسية، ويبدأ التدريب الأساسي في استعمال الأسلحة والفروسية[3]. وعندما يبلغ سن أربعة عشر عامًا يتعلم كيفية صيانة الأسلحة، ويرتقي إلى مرتبة مساعد فارس حيث يعتني بفرسه وملابسه وحاجاته ويعتبر حارسه الخاص أو ذراعه الأيمن في المعركة، كما يعالج جروح الخيل، كما يسمح له بالاشتراك في المعارك مع

---

1 - Richard Pankhurst: State and Land in Ethiopian History, Addis Ababa, 1966, p.103.

2- Donald Crummey: Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000, p.33.

3 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، معهد المخطوطات العربية، مخطوطة برقم 37، فنون حربية، ورقة رقم 39.

الفرسان الذين يكبرونه سنًّا ليتعلم منهم فن الحرب[1]. فإذا ما أثبت كفاءته وصلاحيته وهو في سن العشرين من عمره يكون مؤهلًا ليصبح فارسًا حيث يرشحهم لذلك الأمراء الذين لاقوا التدريب تحت أيديهم، ويكون بذلك قد اكتسب مكانة في المجتمع الحبشي[2].

ج- التنشئة العسكرية للجند

أما فيما يتعلق بالتنشئة العسكرية للجند، فلقد أولت المملكة الحبشية اهتمامًا كبيرًا لتنشئة وتدريب جنودها، وذلك إيمانًا منها بدورهم الحربي المهم. ورغم أن المصادر التاريخية الحبشية لم تقدم الكثير عن أساليب التنشئة العسكرية للجند، الذين كان معظمهم يأتون من خلال مصدرين رئيسين هما: أسرى الحروب والرقيق، أما المصدر الأول وهم أسرى الحروب فقد نالوا شيئًا من التدريب على فنون الحرب والقتال قبل وقوعهم في الأسر، وكان يؤخذ من هؤلاء الأسرى ما يحتاجه الجيش، وما يزيد عن حاجته يتم بيعه في أسواق الرقيق[3]، وقبل أن ينضم هؤلاء إلى الجيش كان يتم تسليمهم أولًا إلى مسؤول الجيش، ليتم فحصهم أولًا للتأكد من سلامة أجسامهم قبل أن يسمح لهم بالاختلاط مع الجند السابقين، حتى إذا ثبت أنهم في صحة جيدة أنزل منهم طبقة جنسه وإقليمه أو تقارب موطنه، بحيث لا تجمع الطبقة الواحدة سوى الجند ذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد ليتلقوا التعليم الحربي[4].

وقد زاد الاهتمام بتقوية الجيش وتسليحه منذ عهد الإمبراطور (زرء يعقوب)، وذلك لتأمين المملكة من جيرانها المسلمين، وليحقق سياسته التوسعية في تكوين المملكة، وبحكم طبيعة الأحباش البدوية، فقد كان

1 - Paul B. Henze: op. cit., p.61.

2 - Edward Ullendorff: op. cit., p. 94.

3 - Mordechai Abir: op, cit, pp. 50-51.

4 - Taddesse Tamrat: op, cit, p. 99.

الجيش المسلح القوي بالنسبة لهم هو أهم دعامة أساسية تقوم عليها المملكة. فكون أباطرة الحبشة جيشًا قويًّا تكون من عدة آلاف من الفرسان والجنود[1].

2- عناصر الجيش الحبشي:-

أ- الفرسان:

الفرسان هم الخيالة الذين يمتطون ظهور الخيل أثناء مشاركتهم في الحرب، وهم يمثلون القوة الضاربة الرئيسة لأي جيش بصفة عامة. لذلك كانوا يمثلون الجزء الفعال من جيش السليمانيين على وجه الخصوص نظرًا لما يتوافر لديهم من سرعة ومرونة ساعدهم عليها خفة حركتهم وسرعة خيولهم، إذ يركبون الخيل السريعة المدربة الفارهة. لذلك كانت لهم خبرة كبيرة بالحرب من فوق ظهور الخيل[2]. وخفة الأسلحة التي يحملونها والتي تنحصر أساسًا في القوس[3]، فضلًا عن السيوف والحراب والرماح ويلبسون الدروع[4].

وقد تميز الفرسان الأحباش بمستوى معين من الأخلاق والسلوك في علاقتهم ببعضهم البعض، فالفارس يجب أن يكون شجاعًا إلى درجة المجازفة أحيانًا، ويقاتل بشرف دون اللجوء إلى الخديعة والأساليب الخسيسة للتغلب على الخصوم. إضافة إلى ما يتسم به الفرسان من صفات الوفاء للأصدقاء، وتبجيل المرأة، واحترام العهد، وحسن معاملة الخصم عند الانتصار عليه[5]. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا السلوك يقتصر على معاملة الفرسان الأحباش لبعضهم البعض دون الشعور

---

1 - Donald Crummey: op, cit., p.27.

2 - Charles F. Rey: op. cit., p.39, see also Budge: op. cit. p. 352.

3 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ورقة3.

4 - حث الإسلام على الاهتمام بالخيل،لأنها تمثل العدة الأساسية للفارس، قال تعالى "وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ" سورة الأنفال آية 60.

5 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص118.

بوجود ضرورة لاتباع نفس السلوك تجاه غيرهم من أبناء الطبقات الدنيا[1].

وقد تجمعت عدة أسباب عكست في النهاية اهتمام الفرسان الأحباش بالفروسية في بلاد الحبشة، وبخاصة في عصر الأسرة السليمانية، ولعل من أهم هذه الأسباب كثرة الحروب التي لم تنقطع بين الممالك الإسلامية والمملكة الحبشية، حيث اتخذت تلك الحروب أطوارًا وأشكالًا مختلفة[2]. إلا أنه أيًّا كانت المرحلة التي تمر بها هذه الحروب فقد كان الفرسان الأحباش بمثابة العصب الرئيس لهذه الحروب. علاوة على ذلك كانت هناك حروب أخرى بين الممالك الإسلامية وبعضها البعض، إضافة إلى الحروب التي شنتها عصابات الشقنا وتجار الرقيق و التي اتخذت أسلوب الكر والفر[3]، الأمر الذي دعا بعض الأباطرة الأحباش الأقوياء إلى التصدي لها، وإن كان بعض هؤلاء الأباطرة استعانوا بتلك العصابات لإيقاع الاضطرابات في الممالك الإسلامية[4].

بناء على ما سبق فقد اهتم الفرسان الأحباش بركوب الخيل والتمرس عليها إلى درجة أنه قيل إن الأحباش يأتون في مقدمة الشعوب من حيث قدرتهم على ترويض الخيل وركوبها، إلا أن هذه القدرة قد تباينت فيما بين القبائل الحبشية المختلفة. ولعل من أهم مظاهر اهتمام الفرسان الأحباش بالخيل هو قيام قادة الجيوش أنفسهم بتفقد الخيل والتأكد من مدى سلامتها بنفس درجة اهتمامهم بتفقد الفارس[5]. وأما عن مصادر توفير الخيول فكانت تأتي غالبًا كغنائم من المعارك والحروب المختلفة، أو عن طريق شرائها من التجار المسلمين

---

1 - Francisco Alvarez: op.cit. pp.243-244.

2 - Budge: op. cit. p. 352.

3 - Paul B. Henze: op. cit , p.81.

4 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص270.

5 - Roland Oliver: The Cambridge History of Africa,pp.146-165.

وتربيتها لديهم، كما كانت تقدم أحيانًا كهدايا للأباطرة. فقد كانت الخيل في مقدمة ما يهدى لهم. وقد تميزت الخيل عند السليمانيين بصغر حجمها وتوسط طول قامتها: إذ استخدموا النوع المعروف بالحصان العربي الذي اشتهر بسرعة العدو ورشاقة الجسم[1].

وقد حرص الأحباش على تدريب خيولهم على الشجاعة والجرأة وانتزاع الخوف منها تحسبًا لأي ظروف طارئة في المعارك، حيث دربوهم على معايشة الحيوانات الأخرى الأكبر حجمًا مثل الجمال والأفيال، وعمدوا إلى تكثيف فترات وجود الخيول مع هذه الحيوانات الأكبر حجمًا إذا تبين لهم خوف خيولهم من هذه الأنواع[2]، وذلك علاوة على تدريبهم أيضًا على بعض الرياضات المعروفة لديهم في ذاك الوقت، وعلاوة على ذلك يمكن القول إن الخيل كانت تمثل العدة الرئيسة للفارس والتي بدونها لا يمكن اعتباره فارسًا، الأمر الذي يفسر ضآلة النظرة إلى المحارب الذي يقاتل راجلًا[3].

وفي سياق ما سبق فقد وصف عرب فقيه ملابس خيل الأحباش في معركة زري (أحد روافد نهر عواش) حين قال: "غنم المسلمون في أرض دوار، خمسمائة فرس كانت مكسوة بالجوخ الأحمر والقطيفة والحرير والديباج المذهب"[4].

وإذا كان كل ما سبق يعكس اهتمام الأحباش بالفروسية وركوب الخيل، فلا عجب من اهتمامهم كذلك ببذل أقصى ما لديهم من جهد ووقت في سبيل تدريب أفراد المجتمع الحبشي على فنون الفروسية[5]. وفي هذا الصدد فقد اهتم الأباطرة الأحباش على وجه الخصوص بتربية

---

1 - Donald Crummey: op, cit., p.33.

2 - Donald Crummey: op, cit., p.27.

3 - Crawford,O.G.S: op.cit.pp26-27

4 - المصدر السابق، ص 131.

5 - Taddesse tamrat: op.cit., p.276.

أبنائهم تربية عسكرية رفيعة المستوى عمادها الأساسي ركوب الخيل[1]، وكانوا – كما سبقت الإشارة - يرسلون أبناءهم لتلقي التدريبات العسكرية على الخيول في المقاطعات المختلفة، كما أنشأوا إسطبلات خاصة لهذه الخيول وعينوا عليها مسؤولين للعناية بها[2]. ويذكر في هذا الشأن أن لكل إمبراطور حبشي فرسًا خاصًّا به لا يستخدمه غيره إلا في حالات استثنائية، فقد سمح الإمبراطور جلادويوس للأتشيجي بركوب فرسه الخاص به، كدليل على رفعة مكانته[3].

مكانة وإعداد الفرسان في المجتمع الحبشي:

تبوَّء الفرسان الأحباش مكانة خاصة داخل المجتمع الحبشي، فقد ارتفع شأنهم واقتربوا من مرتبة النبلاء والأمراء، ويدل على ارتفاع هذه المكانة أن الأباطرة الأحباش قد سمحوا لهم بمحاكاة سلوك الأمراء والنبلاء فيما يتعلق باصطحاب أتباعهم وخدامهم ونسائهم للعمل على خدمتهم أثناء الاستعداد للحرب[4]، وكان هؤلاء الخدم كما سبقت الإشارة يحملون عنهم الأسلحة والملابس وعدة الحرب حتى يعيش الفارس كما لو كان في منزله، يأتي ذلك في الوقت الذي لم يسمح فيه للجنود المشاة بمثل هذه السلوكيات على الإطلاق[5].

---

1 - Budge: op.cit., p. 214.

2 - أطلق لفظ "سقلا" على الإسطبلات التي أنشأها الأباطرة الأحباش لتربية خيولهم، وهو عبارة عن بيت مستطيل الشكل أو خيمة مستطيلة الشكل، وهو مكان أشبه بحظيرة الخيول، وهو يشبه ما كان يسمى في عصر المماليك بخيل النوبة، وهي الخيل التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب، أو هي لاستخدام الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان، وكانت هذه الإسطبلات في الحبشة بعيدة عن مرأى الناس، حتى تبقى ملجمة وفوقها السروج والدروع على سبيل الاستعداد، وتكون قريبة من الإمبراطور. انظر، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ص461، مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص25.

3 - أنتوني سوريال: المرجع السابق، ص 34-58.

4 - Budge: op.cit., p.246.

5 - Budge: op.cit., p.298.

وإمعانًا في الاهتمام بأحوال الفرسان الأحباش ورفع مكانتهم فقد كان الأباطرة الأحباش ينتهزون جميع الفرص لإظهار رضائهم وافتخارهم بما تمتلكه جيوشهم من الفرسان، ليس فقط الفرسان المسيحيين بل المسلمين أيضًا على حدٍّ سواء. فما كاد "يكونو أملاك" يعتلي عرش الحبشة حتى رأى أنه لا بد من فرض سيطرته على ممالك الزيلع، لذلك قتل ملوك المسلمين واستولى على بلادهم[1] واعتبر أن جنودهم أصبحوا ضمن جنوده، وكان يفتخر دائمًا بأن جيشه يضم مائه ألف فارس منهم[2]. كما كان معظم أباطرة الحبشة يتفاخرون بأعداد الفرسان في جيوشهم، وفي هذا الصدد كذلك ذكر عرب فقيه أن الملك لبنا دنجل كان يفتخر بعدد الفرسان في جيشه والذي وصل إلى ستة عشر ألف فارس. كما يصف لنا أيضًا عرب فقيه عدد الفرسان الأحباش فيقول: "كان هناك من البطارقة مئة وأربعة عشر، وكل بطريق تحته ألف، وواحد تحته خمسمائة، وواحد مائتا فارس، وواحد ستمائة فارس على هذه الحالة"[3]. كما وصل عدد الفرسان في جيش الإمام أحمد بن إبراهيم إلى خمسمائة وستون فارس في معركة صمبر كوري[4].

ومما سبق نستنتج أنه بالرغم من أهمية ومكانة الفرسان الأحباش بالجيش واعتماد المعارك والحروب بصفة رئيسة عليهم، إلا أن أعدادهم ظلت دائمًا قليلة، ولقد كانت الجيوش في ذلك الوقت توازن قوتها بعدد فرسانها ليس بعدد مشاتها[5]. ونجد ما يؤيد ذلك في المصادر الحبشية[1].

---

1 - ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور، ص 118.

2 - نفسه، ص 267.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص63، وتتضح المبالغة الواضحة في هذا العدد. انظر ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص 272.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 63- 65.

5 - ويتضح مدى اهتمام الأباطرة الأحباش بطبقة الفرسان، إلى أن وضع بعضهم قيادتها في يده مثل بيئد ماريام. انظر:

- Taddesse tamrat: op.cit., pp.275-278.

وكان من الممكن أن يظهر عدد الفرسان الأحباش خاصة في ممالك الزيلع الإسلامية بصورة أكبر بكثير مما ظهرت عليه لو كانت هناك وحدة سياسية تجمع هذه الممالك في إطار واحد، فقد كانت تلك الممالك تضم مجتمعه أكثر من تسعين ألف فارس، إلا أن بعثرتها السياسية لم تمكنها من الاستفادة من هذه القوة العسكرية الضخمة[2].

مهام الفرسان الأحباش:

تعددت مهام الفرسان الأحباش في الجيش، فقد استخدمهم السليمانيون في أجنحة الجيش بالمعارك المختلفة وأوكلوا لهم واجبات محددة أهمها الاستطلاع والإغارة والمطاردة والحماية. ففيما يتعلق بمهمة الاستطلاع فكان يشارك في أداء هذه المهمة ثلاثة فرسان فأكثر، حيث يقومون بجمع المعلومات عن العدو وتقدير قوته، والتعرف على مواطن الضعف به، وذلك للاستفادة من هذه المعلومات في وضع الخطط العسكرية وتحقيق عنصر المفاجأة للعدو[3]. وأثناء أداء تلك المهمة كان الفرسان يستخدمون الخيول القوية والسريعة، ويتسلحون بالأسلحة الخفيفة[4]. ومن أشهر المعارك التي استخدم فيها الجيش الحبشي طلائع الفرسان معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م[5].

أما فيما يختص بمهمة الإغارة على العدو فقد كان الفرسان الأحباش يؤدونها بمهارة فائقة، ويستخدمون فيها كذلك الخيول القوية

---

1 - " وله جيش يقدر بعشرات المئات من الفرسان وألف من المشاة، ولم يكن لمار جلاوديوس ما يربو عن ستين أو سبعين من الفرسان، وكانت المشاه أيضًا قليلة العدد". انظر: W. Conzelman: op,cit,p.10.

منال عبد الفتاح: المرجع السابق، ص26.

2 - العمري: المصدر السابق، ص 39-45.

3 - الهرثمي: مختصر سياسية الحروب، ص 49، الرشيدي، تفريج الكروب في تدبير الحروب، نشر وتحقيق جورج سكانلون، القاهرة،1961م، ص 51.

4 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ورقة 34.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 65.

والسريعة، وتكون الإغارة على شكل كمائن عند انسحاب الجيش أمام العدو، كما قد تأخذ الإغارة شكل عملية التفاف على قوات العدو لمحاصرته وقطع الإمدادات عنه، كما قد تأخذ كذلك شكل مهاجمة مؤخرة جيش العدو لإشغاله والاستيلاء على أسلحته وأمتعته وتموينه[1]. وقد اتبع جيش المسلمين هذه الخطط العسكرية أثناء حكم صبر الدين في الإغارة على المدن الحبشية المختلفة، فقد أرسل أخاه "محمدًا" ومعه القائد "حرب جوش" على رأس عشرين فارسًا لمهاجمة بلدة حبشية يقال لها (رطوى)، فقتلوا قواد الملك الحبشي وجنوده بهذه البلدة[2]، كذلك عندما هاجم الجيش الإسلامي جبل العنبا جاءت سرية من فرسان ملك الحبشة على مؤخرة جيش المسلمين لتقطع عنهم الإمدادات والمؤن حتى اضطر المسلمون إلى الانسحاب من الجبل بعد محاصرته لأكثر من شهرين[3].

أما عن تكليف الفرسان بمهام المطاردة فقد استعان السليمانيون بهم لمطاردة المسلمين عند انسحابهم، واستخدموا في ذلك الفرسان المهاجمين، واستهدفت عملية المطاردة إلحاق الهزيمة بالمسلمين وتأكيدها وتفريق جيوشهم، وحرمانهم من إعادة تجميع قواتهم، وضمان عدم قدرته على معاودة الهجوم[4]. وقد استخدم الفرسان الأحباش في عمليات المطاردة الخيول السريعة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أنه حينما انهزم الأحباش في معركة صمبر كوري، فولوا الأدبار وتبعهم المسلمون واستمروا في مطاردتهم للتأكد من إلحاق الهزيمة بهم[5]. وعلى الجانب الآخر عندما دارت معركة في قرية بادقى انهزم فيها جيش

---

1 - الهرثمي: مختصر سياسية الحروب، ص 50.
2 - المقريزي: الإلمام، ص 15.
3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 316.
4 - الرماح: الفروسية والمناصب الحربية، ص 59-71
5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 70.

المسلمين، قام الفرسان الأحباش بمطاردة المسلمين وأسرهم عند نهر يسمى (دوخم)[1].

كما أوكلت للفرسان مهمة الحماية خاصة حماية الجيش أثناء سيره وانتقاله من مكان لآخر، وذلك للحيلولة دون مداهمته من قبل العدو على حين غرة، فكانت فرق الفرسان تكلف بحراسة الطرق والمواضع المهمة[2]. كما قامت فرق أخرى من الفرسان أيضًا بحماية الجيش أثناء المعركة، إذ توضع جماعة منهم على طرفي ميمنة الجيش وميسرته، لتكون بمثابة الحماية الكافية لمنع العدو من اختراق الصفوف، ويذكر أن الجيش الحبشي قد اتبع هذه الطريقة في معظم معاركه مع المسلمين[3].

وإذا كان للفرسان الأحباش مهام متعددة في الجيش وقت الحرب، فقد كانت لهم مهام أخرى وقت السلم لا تقل أهمية عن مهامهم في أثناء الحرب، وفي هذا الشأن ابتكر الأباطرة الأحباش عدة أعمال لهم، فكان بعضهم يقف بباب الملك لخدمته، ومشاركته في الأعياد الدينية والاجتماعية، فكانوا يقومون بعمل المبارزات بطريقة تمثيلية استعراضية تستهدف إظهار أكبر قدر من المهارة بأقل قدر من الإصابات والدماء[4]. ومن أمثلة ذلك أنه في عيد الغطاس وعيد الصليب، كان الفرسان الأحباش يخرجون احتفالًا بهذه الأعياد في أماكن خارج المدينة؛ إذ يستقبلهم الإمبراطور وهم يركبون خيولهم، ويمرون عليه على عدة

---

1 - المصدر السابق، ص 57.

2 - اعتاد ملوك الحبشة الخروج والتنقل بين المقاطعات المختلفة في أوقات السلم حيث كان يحيط بالملك قواد الفرسان ويصحبوه في جولته، كما كان يتقدم هذا الموكب فريق من الفرسان ليعلنوا عن قدوم الملك للمزيد انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 334.

3 - Francisco Alvarez: op.cit., p. 285.

4 - Donald Crummey: op, cit., pp.34-36.

فئات مرتدين الملابس الحربية الكاملة، ليلعبوا بالخيل ويمثلون الكر والفر والهجوم والانقضاض[1].

ولم تكن هذه العمليات الاستعراضية بمثابة مشاركة في الاحتفالات فقط، بل شكلت أيضًا فرصًا للتدريب من ناحية وإظهار قدرة وبراعة الفارس الحبشي من ناحية أخرى، حيث يحصل الفارس الفائز علاوة على الصيت الذائع والشرف العريض على نصر مادي كبير، إضافة إلى استيلائه على فرس الخصم وأسلحته أو على مبلغ من المال يقابل قيمة هذه الأشياء. ويذكر أن مثل هذه الاستعراضات لم تكن تتم أثناء الأعياد فقط، بل كانت أيضًا في مناسبات أخرى كاستقبال الضيوف وتوديعهم[2]. كما كانوا يصاحبون الملك أيضًا أثناء تجواله بين المقاطعات المختلفة فيما عرف بالموكب الملكي، حيث كانت لهم مهام معروفة كحماية الملك وتنظيم صفوف الناس والإخبار بميعاد مرور الموكب، كما كان يتقدمه أيضًا مجموعة منهم[3].

ب- المشاة (الرجالة):

وهم الرجالة من الجند وهم العنصر الأكثر عددًا الجيش الحبشي، فقد كان عددهم يصل إلى عدة آلاف، ومن أسلحتهم السيوف والحراب والسهام، وكانوا يلبسون الدروع، ويضعون فوق رؤوسهم الخوذات، وكان لهم وعاء يضعون فيه سهامهم وأقواسهم[4].

ج- النشابون (الرماة):

ويطلق عليهم الرماة أو النبالون[5] لأنهم كانوا يتسلحون بكنائن النبل، وقد اسْتُعِينَ بهم في صد المعتدين، لذلك كانوا هم أول من يبدأ المعركة في الهجوم والدفاع على السواء، وقد أكد العمري وغيره من

---

1 - Ibid. p.36.

2 - القلقشندى: صبح الأعشى، جـ 5، ص 370.

3 - Crawford,O.G.S: op.cit.pp.27-30.

4- Francisco Alvarez: op, cit , pp.316-317.

5 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 15-16،عبد الرحمن زكى، السلاح في الإسلام، ص33،47.

المؤرخين على كثرة استخدام الأحباش لهذا السلاح "ومنهم الرماة بالنشاب"[1]. كما ذكر في موضع آخر: "وسلاح المقاتلين منهم القسي والنبال الشبيهة بالنشاب"[2].

د- المنادي: وهو الذي ينفر في الجنود بالحرب[3].

ن- الدليل: وهم طليعة الجند ومن يقتدي به ويسيرون أمام الجند، ويمكن تشبيههم بجنود الاستطلاع[4].

هـ- فيتاوراري Fiturari: ومعناها القائد المشرف على مقدمة الجيش[5].

و- قاضي العسكر:

وهو القاضي الذي يفصل بين الجند، ويصدر الأحكام أثناء تنقلاتهم كما سبقت الإشارة، وكان يتخذ له كاتبًا، ويكون له شهود عدول، وتكون له خيمة بجوار خيم الجند، ويكون مستعدًا لإصدار الأحكام في الأمور الخاصة بالجنود في معسكرهم مثل الغنائم والقسمة... إلخ، وكان هذا القاضي يُعَيَّن من قبل الإمبراطور[6].

ي- بعض رجال الدين:

كان يصاحب الجيش الحبشي عدد كبير من رجال الدين من الرهبان والبطارقة والقساوسة لحث الجنود على قتال المسلمين، وكانوا يبثون فيهم روح الشجاعة ويعرفونهم بأنهم يدافعون عن دين الآباء والأجداد، فكانوا بذلك يخلعون على القتال صبغة الحروب الصليبية[7]، ولذلك

---

1 - العمري: المصدر السابق، ص40، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص318.

2 - العمري: المصدر السابق، ص47.

3 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 375.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق،158.

5 - Blundell: op, cit, p.236.

6 - Harold G. Marcus: op, cit, pp. 19-20.

7 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 150-152.

كان المسلمون يحرصون على قتلهم بمجرد وقوعهم أسرى في أيديهم؛ لأن جمهرة المسيحيين الأحباش كانوا يتأثرون بأقوالهم وبتحريضهم على قتال المسلمين[1].

3- أقسام الجيش وإداراته

اهتم ملوك الأحباش اهتمامًا بالغًا بالجيش، فهو عماد المملكة، وهم أنفسهم رجال حرب وقتال وفرسان. وقد تأصلت فيهم الروح القتالية لطول ممارستهم للحروب وحياة البداوة. وامتد الاهتمام بالجيش إلى كل المقاطعات، فقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة جيش كبير[2]. ومنذ عهد عمدا صيون (714– 745 هـ/1314– 1344 م) ازداد الاهتمام بالجيش لوضع حاميات في البلاد التي فتحها.

ولقد ارتبط تكوين الجيش بظروف تكوين المملكة الحبشية، فقد كانت تتكون من عدد من المقاطعات والقبائل التي كانت تدين بالولاء والاحترام للملك، وكان الملك يعتمد على هذا الجيش في فرض الولاء والاحترام لمملكته[3]. ولذلك عمد معظم الملوك إلى تكوين جيش قوي وقادر على حفظ الأمن والاستقرار في المملكة، وعلى إنزال العقاب السريع بأي حاكم من حكام المقاطعات يجرؤ على مخالفة أوامر الملك[4]. وقد انقسم الجيش الحبشي خلال هذه الفترة إلى قسمين؛ هما الجيش المركزي الملكي، وفرق حكام المقاطعات.

أ- الجيش المركزي الإمبراطوري:

هو الجيش النظامي الثابت المختص برعاية مصالح الدولة والدفاع عنها بشكل دائم، ويشكل القوة الهجومية المؤثرة في الدولة، وكانت هذه

---

1 - نفس المصدر السابق، ص 152، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص 129.

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea, p59

3 - Taddesse tamrat: op.cit,pp.90-91.

4 - Budge: op. cit., pp 290-291.

القوة تتألف من الغلمان العبيد وأسرى الحروب[1]. وكانت طريقة الحصول على هؤلاء الغلمان هي الشراء، والرسوم المقررة على حكام المقاطعات المختلفة[2]، إذ اتخذت هذه الرسوم عدة أشكال منها الحصول على عدد معين من الرقيق[3].

ويرجع الفضل للإمبراطور عمدا صيون الأول في وضع اللبنة الأولى لتأسيس جيش مركزي قوي، فعندما تمكن من تحقيق فائض من الإيرادات، فكر في تقوية السلطة المركزية تحت القيادة الملكية، لذلك قام بإنشاء العديد من الفرق من بين السكان المحليين الذين تم أسرهم وخاصة من سكان شوا[4]. وقد تم إرسالهم إلى مناطق مختلفة لحماية حدود المقاطعات خاصة تلك التي تحاول تحدي سلطته، وقد أثبتت هذه الفرق جدارتها أثناء حياة عمدا صيون لأنها نجحت في القضاء على الكثير من التمردات التي قامت بها القبائل الرعوية[5].

وقد انقسم الجيش الإمبراطوري خلال هذه الفترة إلى عدد من الوحدات العسكرية المستقلة، وكانت الوحدة هي الفرقة العسكرية أو الفوج وكانت كل فرقة عسكرية تحت قيادة قائد مسؤول مباشرة أمام الملك وهو ما أطلق عليه لفظ "أزماتش". وقد كانت كل فرقة تحمل اسمًا رمزيًّا مثل "بعل دامو" و"بعل ديهو"[6] وفرقة "جلن بلو" وفرقة "جان أسراري" وفرقة "الصراوجت" التي أنشأها زرء يعقوب (838 –

---

1 - Roland Oliver Anthony Atmore: Medieval Africa,1250-1800, university of Cambridge, england,press,2001, pp. 115-6.

2- Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54.

3 - Roland Oliver Anthony Atmore: op. cit., p. 116.

4 - G.W.B. Huntingford: op. cit., p. 54.

5 - Mordechai Abir: op. cit., p. 49.

6 - يعني لفظ "بعل"عند السير بدج "الحاكم" ويذكر أن منصبه من المناصب المهمة، بينما يعني عند بعض الباحثين "الموظف المهتم بحماية القوافل". انظر:
Budge: op. cit., p.580.

873 هـ/ 1434 – 1468م)[1]، ويذكر أن هناك بعض الأباطرة ممن اهتم بإنشاء فرق عسكرية تحمل اسمه مثل الإمبراطور (بئيد ماريام). وقد عُهدت إلى هذه الفرق العسكرية بمهام واختصاصات مختلفة. وكان لكل منها دور محدود في خدمة الجيش الملكي[2]، فمنها فرقة الجواسيس، والتي اختصت بتتبع أخبار العدو ونقلها إلى قيادة الجيش الملكي، وهناك فرقة الاستطلاع والتي أوكلت إليها مهمة اكتشاف مكان العدو وبيان مدى قوته. ولقد كانت هذه الفرق جميعًا تتنافس للتقرب من الملك وكسب ثقته لتحظى في مقابل ذلك بمزايا خاصة[3].

وكان تقسيم هذه الفرق العسكرية يتم على أسس قبلية غالبًا، حيث تتجمع مجموعة من الأفراد تنتمي لقبيلة واحدة وتتحدث بلهجة واحدة لتشكل في النهاية إحدى الفرق أو الوحدات العسكرية[4]. وعلى ذلك يمكن القول أن تقسيم هذه الفرق كان يتم على أساس عرقي ذي خلفية ثقافية ولغوية مشتركة، الأمر الذي جعلها أكثر كفاءة في القتال[5]. وكانت هذه القوات غالبًا ما تُجند من المناطق التي تم احتلالها حديثًا، فهم من أسرى الحروب الذين كان يتم تجنيدهم في الجيش الملكي[6]. حيث كانت تشكل الجزء الأكبر من الجيش المركزي،

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit, p.132.

2 - Francisco Alvarez: op, cit ,pp.306-307.

3- يذكر أن هذه الفرق العسكرية حددت لها أبواب خاصة لتدخل منها إلى الإمبراطور أثناء إقامته في المعسكر الإمبراطوري. انظر. مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص19.

Budge: op. cit., pp. 290-291.

4 - لقد تم تقسيم هذه الفرق على أساس أن تتكون كل فرقة من ألف رجل يقودها "قائد الألف رجل" وهي بمعنى (شلقا) انظر:

Budge: op. cit., p.581 see also Bundell ; op. cit., p.328.

5 - Paul B. Henze: op. cit , pp.65-6.

6 - تجدر الإشارة إلى أن هناك نظام لعقوبة الفارين أثناء المعركة في الجيش الحبشي، وهي أن يترك الشخص الذي يفر من المعركة عاريًا، ثم تثقب أنفه ومؤخرته بالسيف، ثم

حيث كان يوجد شخص مسؤول عنهم من أجل تدريبهم وإدخالهم في نظام الخدمة بهذه الوحدات، على أن يقودهم بعد ذلك أحد الرجال من نفس مناطقهم[1].

ولقد كانت هذه الفرق العسكرية صغيرة الحجم في البداية، إلا أن عددها تضاعف عدة مرات نتيجة لكثرة التوسعات والحروب، الأمر الذي تسبب في صعوبة سيطرة أباطرة الأسرة السليمانية على هذه الفرق بسبب أعدادها الآخذة في الزيادة بزيادة عدد أولئك السكان المحليين الذين أخذوا كرقيق[2]. وبزيادة عدد الفرق، اقتضى الأمر ضرورة تقسيم كل منها إلى وحدات أو فروع صغيرة، وكانت هذه الفروع تشكل أفرادًا تحت التدريب تمهيدًا لنقل الأكفاء منهم إلى الوحدات العسكرية المستقلة، ففي عام 733هـ/ 1332م نجد أن الوحدة التي كانت تنتمي إلى داموت Damot أُرسلَت جماعة منها لمحاربة الفلاشا Falasha، وفرع آخر تم إرساله ليشترك في محاربة المسلمين في عدل Adal[3].

وإذا كانت هناك سمة مشتركة بين هذه القوات، فربما تكون هذه السمة هي أن معظمهم قد جُندوا من المناطق الحدودية التي فتحت حديثًا، حيث كان يستفاد من أسرى الحروب العديدين بهذه المناطق عن طريق إرسال بعضهم إلى النبلاء والقواد، وتجنيد البعض الآخر (وهو النسبة الغالبة) في خدمة البلاط الملكي، وما يتبقى منهم يذهب إلى أسواق العبيد، وكانت الفئة المختارة للتجنيد يتم انتقاؤها من بين أكثر

تعلق عليه رئه حمار (وقد عدلها زرء يعقوب برئه بقرة للمسيحين) ويعرضه عاريًا أمام النساء ليضحكن عليه، كما نجد أن الإمبراطور بئيد ماريام قد حكم على بعض جنوده الذين حاربوا دون إذنه، أن يضعوا رئة البغل والثور في أنوفهم ومؤخرتهم، وأن يعلقوا عراة لمدة عشرة أيام دون أن يرحمهم. انظر، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص117.

1 - Roland Oliver Anthony Atmore: op.cit, p: 116.

2 - Huntingford: The wealth of the kings, pp.25-6.

3 - Taddesse tamrat: op.cit, p.91.

الشباب قوة، حيث يتم تجميعهم وضمهم إلى الوحدات العسكرية تحت قيادة أحد القواد من نفس قبائلهم ممن أثبتوا أنفسهم لمدة طويلة في خدمة الملك واكتسبوا خلال هذه المدة ثقته ودعمه[1].

وفيما يتعلق بأسس اختيار قادة الجيش الملكي، فقد كان يتم اختيارهم بحذر شديد وبشرط التأكد من ولائهم للملك وتعهدهم بالموت في سبيل نصرته، فبعضهم يتم اختياره ممن يُربى في القصر الملكي، أو من أصدقاء الملك المقربين، أو من أقربائه، لذلك لا نجد غرابة في أن يكون من أشهر قواد الجيش الحبشي في عهد "عمدا صيون" ابنه (صاف اسجد Saf-Asagid)، وكذلك زوج أخت الملك[2]. وفي عهد (زرء يعقوب) ابنته[3]. ويذكر أن هناك من الأباطرة من أعطى جل اهتمامه للجيش الإمبراطوري وعمل على رفع الروح المعنوية لجنوده، وليس أدل على ذلك من خروج الإمبراطور (بئيد ماريام) (873-883هـ/ 1468 – 1478م) بنفسه من مسكنه لتوديع جنوده بالتقدير والاحترام[4].

ب- جنود الشوا:

أدى جنود الشوا[5] دورًا مهمًّا في تيسير مجريات الأمور في المملكة الحبشية، فقد تعددت مهام هذه الفرق العسكرية في المملكة كما

---

1 - Paul B. Henze: op. cit , p.39.

2 - تجدر الإشارة إلى محاولات الأباطرة العديدة محاولتهم عزل قواد الفرق غير المواليه لهم، وتعيين من هم على درجة عالية من الولاء للإمبراطور، مما كان يتسبب في سخط بعض القادة إلى الدرجة التي تصل إلى الثورة أحيانًا. انظر:

Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54

3 - تجدر الإشارة إلى محاولات الأباطرة العديدة عزل قادة الفرق غير المواليه لهم، وتعيين من هم على درجة عالية من الولاء للإمبراطور، مما كان يتسبب في سخط بعض القادة إلى الدرجة التي تصل إلى الثورة أحيانًا. انظر:

- Perruchon: op , cit , p.7 see also Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.54.

4 - Perruchon: op , cit , pp 143,180.

مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 102.

5 - الشوا: تطلق هذه الكلمة في المصادر الحبشية على الجنود أو الفرقة العسكرية، وهم الجنود التابعون للإمبراطور في المقاطعات، كما كان يطلق على زعيم كل فرقة لفظ

أوضحتها النصوص الحبشية، إذ كان تأمين شخصية الإمبراطور وحدود المملكة على رأس أولويات هذه المهام، فقد كانوا يقومون بالطواف حول القصر الإمبراطوري وداخل السور حاملين أسلحتهم ضد كل من يحاول المساس بالإمبراطور[1]. كما يفهم من سياق النص وجود مندوب لكل فرقة من فرق الشوا من مختلف المقاطعات في قصر الإمبراطور، ربما انتظارًا لتلقي تعليمات جديدة من الإمبراطور، ما يدل على التواصل المستمر بين الإمبراطور وحكام المقاطعات المختلفة[2].

"تشوا"، ولكنها تدل في الأمهرية حاليًا على "الشخص ذي المنزلة الاجتماعية الرفيعة" وإن كان معناها العام يقابل لفظ المماليك وإن كانت طبيعة عملهم تؤكد أنهم أتباع الملك. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 16

1 - Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp. 35-36.

2 -"وفي تلك الأثناء يخرج أحد أطفال الداخل الصغار، ويعطي الأوامر لكل مندوب من جميع فرق الشوا: فرقة بصر شوتل، بدل دمنا، كولو أوري، بصرواجيت، دمنا أمبا، بأدل واجت، بدل مبراق، بدل مسقل، ويخبرهم أن الملك قد عبر إلى الكنيسة. عندئذ يعبر هؤلاء (الجنود) نافخو الأبواق، وضاربو الطبل، ويقفون خارج أبواب الكنيسة، ولا يدخلون إلى الداخل. وكذلك تقف فرقة بأدل مبراق، ورهبان دبر بيزان وهم يطوفون حول القصر من داخل السور، بينما يحمل الرهبان جرابًا وسيفًا، وتمسك (فرقة) بأدل مبراق السهام والرماح". انظر:

- Perruchon: op , cit , pp.35-36.

በድል ፡ መብረቅ ፡ ወበድል ፡ መስቀል ። ወይነግርዎሙ ፡ ከመ ፡ ኀለፈ ፡ ንጉሥ ፡ ውስተ ፡ ቤተ ፡ ክርስቲያን ። ወሶቤሃ ፡ የኀልፉ ፤ እመንቱኒ ፡ እንዘ ፡ ይነፍሑ ፡ አቅርንተ ፡ ወይነፍሑ ፡ ቀንደ ፡ ከበሮ ፡ ወይቀውሙ ፡ በአፍአ ፡ አንቀጸ ፡ ቤተ ፡ ክርስቲያን ። ውስጠሰ ፡ ኢይበውኡ ። ወዓዲ ፡ ይቀውሙ ፡ በአደል ፡ መብረቅ ፡ ወመንኰሳት ፡ ዘቢዘን ፡ እንዘ ፡ የወውድዎ ፡ ለቤተ ፡ ንጉሥ ፡ በውሳጤ ፡ ሐጹር ፡ ጸዊሮሙ ፡ መንኰሳት ፡ ገለበ ፡ ወሰይፈ ፤ ወበአደል ፡ መብረቅ ፡ እኂዘሙ ፡ ቀስተ ፡ ወሎሩተ ። ወበኂዜ ፡

وتذكر المصادر الحبشية اهتمام بعض الأباطرة باصطحاب بعض جنود فرق الشوا معهم أثناء زيارة المقاطعات المختلفة، وذلك لعدة أغراض يأتي في مقدمتها تأمين سير الطريق إلى المقاطعات والمدن التي يمر عليها الموكب، فضلًا عن تأمين الإمبراطور ذاته أثناء وجوده في هذه المدن، ويقول النص: "وأمر أن يقيم جنود الشوا كذلك معسكرًا لكل منهم: فرقة الجان صجنا بمفردها، وأهل إيفات بمفردهم، ومثلهم أقام جميع الشوا التابعين لفطجار، وجدم، وجن، معسكرًا"[1].

وهكذا لم تقتصر مهام هذه الفرق على تأمين الإمبراطور أثناء جولاته في المقاطعات، بل عهد لها أيضًا مهمة تأمين المقاطعات المختلفة، لا سيما تلك التي ارتفعت فيها درجات التمرد، لذا فقد قام (زرء يعقوب) بتعين فرق عسكرية من كتائب الشوا في بعض المقاطعات خاصة التي انتشر فيها المسلمون، فضلًا عن المقاطعات التي تقع على حدود المملكة الحبشية، وكان على رأس كل منها حاكم عسكري أطلق عليه لفظ "تشوا"، كما أطلق على هذه الفرق العسكرية أسماء رمزية تدل على الهدف الذي عينت من أجله كما يشير كاتب النص الحبشي[2]،

1- Perruchon:op,cit, p. 137.

2 -"وقد عين الملك كذلك في أرض دوارو كثيرًا من جنود الشوا الذين يدعون: أرقواي بصرواجيت، بدل صجنا، جان جدب، وغيرهم ممن لم أعرف أسماءهم". انظر:

كما أخبرنا النص أيضًا عن تعيين الإمبراطور لهؤلاء الجنود في جميع مقاطعات المملكة الحبشية[1].

በበሊኂ ፡ ወበሐድያኂ ፡ ከማሁ ፡ ሠርዓ ፡ ጨዋ ፡ ብዙኃን ፡ ወከማሁ ፡ በበጌ ፡ ምድር ፡ ወበጐጐርም ፡ ሠርዓ ፡ ጨዋ ፤ በፈጠጋር ፡ ወበኢፋት ፡ በግድም ፡ ወበኻ ። በአንጎት ፡ ወበቅዳ ፡ ወበትግሬ ፡ ባሕር ፡ አምባ ። በሰራዋ ፡ በፀር ፡ ዋጅት ፡ ወበዝ ፡ ኵሉ ፡ አሐጉር ፡ ሠርዓ ፡ ብዙኃነ ፡ ጨዋ ፡ እንዘ ፡ ይሰሚ ፡ አስማቲሆሙ ፡ ዘዘዚአሆሙ ፡ በበአሕጉሪሆሙ ። ወለባሕር ፡ ነጋሽሰ ፡

ويذكر أن هؤلاء الجنود كانوا عادة في طليعة مستقبلي الإمبراطور عند زيارته لأي مدينة يوجدون بها، وذلك لتأمين موكب الإمبراطور من جهة، ولإقامة مراسم تنظيم الموكب العسكري من جهة أخرى[2]. كما كان يستعين حكام المدن التي يقوم بزيارتها الإمبراطور بفرق الشوا في المدن القريبة منها لزيادة تأمين هذا الموكب[3].

وعندما سمع (بئيد ماريام) وهو في أترونسا مريم عن قيام بعض أفراد الشعب بلعنة أسرعت كتائب الشوا إلى ذلك المكان لحماية الإمبراطور، وبعد أن انتهى من عقاب هؤلاء الناس أمر بعودة هؤلاء

- Perruchon:op,cit, p.45.

1 - وفي بالي وهدية عين الكثير كذلك من جنود الشوا، ومثلهم في بجه مدر، وجودجام، وعين شوا في فاطجار، وفي إيفات، وفي جدم، وقن، وفي أنجوت، وفي قدا، وفي تجري، وباحر أمبا، وفي سروا وبصر واجت.. وفي كل هذه المدن عين جنود شوا داعيًا أسماءهم حسب درجاتهم، وحسب بلادهم. انظر:

- Perruchon:op,cit, p.47.

2- Robert Silverberg: The Realm of the Prester Jone, Doubleday& Company Inc, New York, 1972, pp.53-54.

3-"وحين نزل ملكنا زرء يعقوب أرض أكسوم،... استقبله كل أهل المدينة... وكل جنود الشوا التابعين لمدينة تجري ممتطين خيولهم، وممسكين بالقوس والسهم". انظر:

- Perruchon:op, cit, pp.48-49.

الشوا الذين كانوا في بلاطه، كل إلى بلاده، و يفهم من ذلك أن هذه الكتائب كانت فى منزلة المسؤول الأول عن تأمين شخص الإمبراطور والمكان المتواجد فيه[1].

أما عن الدور الحربي لفرق الشوا، فتذكر تلك المصادر أيضًا استعانة كثير من أباطرة الأسرة السليمانية بجنود الشوا في إخماد التمردات التي نشأت في المقاطعات المختلفة، وذلك باشتراك هذه القوات مع كتائب الجيش والحرس الملكي، فيذكر النص الملكي في عهد الإمبراطور (زرء يعقوب) أنه حين أراد إحضار تابوت أبيه (داود) من مدينة صهيون بالطرق السلمية أرسل إلى أهل (مواعال) ثلاثة من (الصاسرجوتش)[2]، وهم (أب ردائي، وجبرو، ومطوس)، إلا أن أهل المدينة رفضوا تسليمهم التابوت، وهنا كلف الإمبراطور فرقة من جنود الشوا بإحضار هذا التابوت، وقد نجحت هذه الفرقة، لا في إحضار التابوت فحسب، بل في أسر كل رجال المدينة الذين رفضوا أمر الملك[3].

كما يذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (بئيد ماريام) اشتراك هذه الكتائب في محاربة من أطلق عليهم (الدوبيئا)[4] الذين سببوا الكثير

1- "وأرسل عندئذ كل كهنة الدبترا وجنود الشوا الذين كانوا في بلاطه، كلًّا إلى بلاده". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.129.

2 - هم حاملوا الزينة الملكية. انظر:

- Perruchon:op,cit, p.84.

3- "وأحضر تابوت ملكنا داود، بعد أن أرسل إليهم الصاسرجوتش الذين يدعون: أب ردائي، جبرو، ومطوس قائلين لهم: أن جاءوا إليكم بأمر الحطي والبطاركة. لا تعطوا تابوت ملكنا، لهذا السبب غضب الملك على أهل المدينة أولئك، وأرسل إليهم (فرقًا من) جنود الشوا الذين يدعون بأدل جان، فأسروا كل رجال المدينة الذين رفضوا أمر الملك، هم ونساءهم وأولادهم، وأحضروهم إلى باب الملك" انظر:

- Perruchon:op,cit, p.84.

4- تنسب هذه القبيلة إلى أحد الزعماء المسلمين الذي يدعى يحيى في القرن الثالث عشر الميلادي، ويطلق عليهم ألفاريز اسم "الدوباس" نسبة إلى اسم بلادهم، والمعروف أنهم فرع من قبائل المورة المسلمين، ويذكر أليدا أنهم كانو رعايا مملكة تجري، كما يذكر العديد

من الاضطربات للمملكة، إذ كانت غزاوتهم مقلقة للإمبراطور، كما أننا نجد أنه حين استمرت هذه الحروب لمدة طويلة لاعتماد الدوبيئا على حروب الإغارات التي تعتمد على الكر والفر، لذلك أمر الإمبراطور كل جنود الشوا في البلاد بالسير إلى الدوبيئا[1] وفي أرض "صوتا" أقام الإمبراطور معسكرًا لجنوده و قام بتنظيمهم إلى عدة فرق و أقام لكل فرقة منهم معسكرًا خاصًّا[2].

ورغم أن المورخ الملكي ذكر أن الإمبراطور أمر فرق الشوا بالبقاء معه في محاربة الدوبيئا، إلا أنه ناقض نفسه بعد أن تم هزيمتهم في معركة قتل فيها كثير من المسيحيين، وعلل هذه الهزيمة بأنهم لم يأخذوا رأي الإمبراطور الذي لم يتلق الإذن من ربه يسوع للدخول في هذه المعركة، وعلى ذلك دخل قادة الشوا إلى الإمبراطور لمعاتبته أنه لم يأذن لهم بخوض هذه الحرب[3].

من الباحثين أن هذه القبيلة قد عاشت على الغزوات المتكررة على طرق القوافل التجارية، وقد تميزت غزواتهم بالكر والفر لا المواجهة المباشرة على حدود المقاطعات مما سبب للمملكة الحبشية بعض الاضطربات السياسية، وقد اتسع نشاط هذه القبائل حتى استطاعت احتلال أقصى حدود الهضبة الشرقية في الحبشة، كما كانوا كثيري الإغارات على المساحة الممتدة بين ديبروا إلى حيق، وقد استطاعت قوات الإمبراطور إياسوا الأول (1730-1755م) هزيمتهم في الكثير من المواقع وهو الأمر الذي أدى إلى انتشارهم واختلاطهم بقبائل الياجو (فرع من قبائل الجالا) حيث عاشوا بعد ذلك في منطقة يوجيرتا حتى عام 1814م ولم نقرأ عنهم في التاريخ بعد ذلك شيئًا آخر، انظر:

- Trimingham : op,cit, p.81.See also Almeida op,cit, p.15.

1- "وبينما كان عندها (أرض داجو) جاء كل جنود الشوا في إثيوبيا للسير إلى الدوبيئا، انظر:

- Perruchon:op,cit, p.132.

2- "وأمر أن يقيم جنود الشوا كذلك معسكرًا لكل منهم: (فرقة) الجان صجنا بمفردها، وأهل بالي بمفردهم، ومثلهم أقام جميع الشوا التابعين لفطجار، وجدم، وجن معسكرًا". انظر:

- Perruchon:op,cit, p. 137.

3- يا سيدنا كنا نقاتل أمبا نحد عن صلمت مثلما أمرتنا، ولكن حين سرت إلى أرض الدوبيئا لماذا لم تستدعنا حتى نتقاتل معهم؟ ألم يعينا أبوك هنا من أجلهم؟ وألم يكن

وعلى أية حال فبعد إخضاع أهل الدوبيئا وإصدار عفوٍ عنهم، قام الإمبراطور بتعيين بعض قادة الشوا على الدوبيئا داعيًا أسماءهم "داويت أمبا، وبمان جدفو"[1]. كما قام بتعيين البعض الآخر من قادة الشوا أيضًا في بعض المدن الأخرى[2].

وبالرغم من القداسة والإعزاز الذي كان ينظر به هؤلاء الجنود إلى الإمبراطور، إلا أنه كان عرضة للثورة عليه، ورغم تأكيد المصادر الحبشية ارتفاع درجة ولاء جنود الشوا للإمبراطور الحبشي، إلا أن ذلك لم يمنع أحيانًا من التمرد عليه، فقد أشارت تلك المصادر إلى اشتراك هؤلاء الجنود مع من يدعون "التناشي"[3] وقرروا مع تابعي (جراد بالي) الذي يدعى (جبر إياسوس) وجميع جنوده الهجوم على مقاطعة عدل، ما حدا بالإمبراطور إلى استدعائهم إلى البلاط، وأمر بعض الفرسان والمشاة الذين كانوا في بلاطه بإحضارهم عن طريق ما يعرف بالشكائم[4]

من الأفضل أن يقاتل الجميع، كل في بلده حيث يعرف طرقه وولكننا الآن عبيدك، نرجو سعادتك، وننفذ مشيئتك، ونموت من أجلك. حتى نهزم أعداءك أهل الدوبيئا". انظر:
- Perruchon:op,cit, p.143.

1 - "وعين بينهم جنود شوا داعيًا أسماءهم: داويت أمبا، وبمان جدفو". انظر:
- Perruchon:op,cit, p.148.

2 - "وقد تعاهد هؤلاء مع ملكنا بئيد ماريام وجددوا الكنائس التي كانوا قد أحرقوها في مدنهم من قبل، وقد نظم لهم قوانيين الشريعة المسيحية، وعين جنود شوا جددًا". انظر:

-Perruchon:op,cit, p.173.

3 - التناشي: كلمة أمهرية تعني الشخص الذي أتى لعقد السلم، أو هو سفير السلم، ويرجح بعض الباحثين أنهم أتباع الإمبراطور من المسلمين المسالمين الموجودين في بالي كفرق عسكرية تابعة للإمبراطور، انظر مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 111.

4 - الشكائم: هي سيور تصنع من جلد الثيران في صليب يرتديه الرهبان. انظر:
- Abu Salih The Armenian: Churches & Monasteries of Egypt and Some Neighbauring Countries, Translated by. B.T.A Evetts, The Clarendon press, Oxford, 1895, p.164.

واقتادوا هؤلاء التناشي الذين يبلغ عددهم ألف وستمئة وستون شخصًا وساقوهم بها إلى الإمبراطور[1].

على أنه ينبغي ألا يفهم من ذلك أن هذه الفرق العسكرية كانت متمردة على الإمبراطور الحبشي بصورة مستمرة، فقد ذكر النص الحبشي في عهد الإمبراطور (ناؤود) أنه حينما تمرد (تكلا كرسيوس) على الإمبراطور واستطاع الهروب إلى مقاطعة شوا، ومنها رحل أثناء الليل إلى مقاطعة إيفات مع أصدقائه، كما سعى إلى استمالة كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، إلا أنهم لم يستجيبوا له، واستطاعوا إلقاء القبض عليه واقتادوه مقيدًا بالسلاسل إلى الملك الذي قام بنفيه، إلا أن بعض أفراد الحرس الملكي قاموا بفقء عينيه أثناء ترحيله إلى المنفى، كما تم اعتقال العديد من أنصاره[2].

أما في عهد الإمبراطور (لبنا دنجل) فيذكر النص الحبشي أن هذه الكتائب المختلفة سواء الملازمين للإمبراطور (الذين أطلق عليهم كتائب الحرس الملكي) أو الموجودين في المقاطعات المختلفة، أنهم اشتركوا مع الفرق العسكرية للجيش الحبشي في الحروب العديدة التي خاضتها

1- "وفي أرض إلامالاي بينما كان هناك أخبروه أن من يدعون التناشي، وتابعي جراد بالي الذي يسمى جبر إياسوس قد خططوا هم وجميع جنود الشوا في مدينة بالي (قائلين): نسير إلى عدل، وحين سمع ذلك الأمر أمر أن يحضروا هؤلاء الناس الذين دبروا هذا التدبير الشرير على وجه السرعة، دون أن يبقوا لهم أي شيء في مدينتهم... ولكن الملك أمر أن يعدوا الخيالة والمشاة الذين كانوا في بلاطه، ومنح كنيسة بيت جنساني عشرة ثيران كي يذبحوها ويأكلوا لحمها. وقال لهم: أما جلودها فاجمعوها وجهزوها. وقبضوا عندئذ على هؤلاء التناشي وعددهم ألف وستمئة وستون، ووضعوا في رقابهم شكائم صنعت من جلد الثيران الذي ذكرته آنفًا. وساقهم جميع جنود الشوا خداري إلى أرض جودجام...". انظر:

- Perruchon:op, cit, pp. 158-159.

2 - "ووصل إلى أرض إيفات وسعى أن يضم إلى عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانته وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلى الملك". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

المملكة السليمانية ضد المسلمين بقيادة الإمام أحمد بن إبراهيم الجران[1].

أما عن عمل هذه القوات العسكرية في أوقات السلم، فقد كان الإمبراطور يكلفها بإنجاز بعض المهام السريعة، فقد اشترك هؤلاء الجنود في بناء كنيسة الرب يسوع المسيح التي لم يستغرق بناؤها أكثر من ثمانية أيام حين أمرهم الإمبراطور بالإسراع[2]. وعندما شرع (زرء يعقوب) في بناء قصرٍ يدير منه شؤون الحكم في دبر برهان أمر جنود الشوا بمساعدة البنائين في بناء ذلك القصر والسور المحاط به[3]. كما اشترك جنود الشوا أيضًا في إقامة المراسم المختلفة مع الإمبراطور الحبشي عند زيارة الإمبراطور للمدن المختلفة[4]. وعندما أمرهم (بئيد ماريام) بالذهاب إلى أرض "مبرا" لمحاربة الدوبيئا إن وجدوهم، وإن لم يجدوهم يقوموا بتعبيد الطريق[5].

---

1 Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna- Dengel,p.5-21.

2- "ولهذا أحب الجميع ذلك المكان، فأسماه دبر برهان، وبنى هناك كنيسة مزينة، باسم ربنا يسوع المسيح، وأكمل كل الصناع، وكل ولاة الشوا بناءها في خلال ثمانية أيام، حين أمرهم الملك بالإسراع". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 71.

3 - "وأمر أن يساعدوا جميع جنود الشوا الذين كانوا عند عتبتها لبناء القصر، وبناء السور". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.73.

4 - "وكذلك جاء الملك إليهم مقيمًا مراسم معقدة مع كثير من فرق الشوا والجنود". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.117.

5- "وأرسل عندئذ جنود الشوا إلى أرض "مبرا" كي يتقاتلوا إن وجدوهم، وإن لم يجدوهم يمهدوا الطريق، وحين ذهب جنود الشوا هؤلاء، لم يجدوا شعب الدوبيئا، فعادوا وقضوا أيامهم في إصلاح الطريق". انظر:

- Perruchon:op ,cit, p.138.

- ويشير بعض الباحثين إلى أن الحبشة في العصور الوسطى لم يكن بها سوى أربع طرق ممهدة يمكن السير فيها، وهو ما جعل الإمبراطور يسند مهمة إصلاح بعض الطرق أمام الموكب الإمبراطوري عند سيره، في حين يشير البعض الآخر من الباحثين أن هذه المهمة لم تكن ضمن مهام جنود الشوا، وإنما كان ذلك نوعًا من العقاب لهؤلاء الجنود بسبب

أما عن علاقة الإمبراطور بهذه الكتائب، فقد تميزت بالمودة والولاء فيما بينهم، فقد كان الإمبراطور يعقد لهم الكثير من الولائم حتى يرضيهم، إذ تشير المصادر أنه حين تكتمل مراسم طقس القربان يعطون جميع جنود الشوا الخبز، وشراب العسل المخمر حتى يشبعوا للغاية[1]. ويذكر أن هناك جزءًا مخصصًا من الضرائب المفروضة على المقاطعات يذهب إلى كتائب الشوا، كما أننا رأينا شيئًا جديدًا في عهد (بئيد ماريام) لم يكن لدى سابقيه وخلفائه من الأباطرة في تلك الفترة وهو الحرص على تزيين جنود الشوا بملابس فاخرة، وخروج الإمبراطور بنفسه لتوديع جنوده[2].

ወእንዘ ፡ ያሠርግ
ም ፡ በአልባስ ፡ ክቡራት ፡ ምስለ ፡ ብዙኅ ፡ ፄዋ ። ወለሊሁኒ ፡
ንጉሥ ፡ ለፄዋ ፡ እማኅደሩ ፡ አስተፈነዎሙ ፡ በክብር ፡ ወበዕበይ ፡
ወወሪዶሙ ፡ እሉ

ج- فرق حكام المقاطعات

شكلت قوات حكام المقاطعات جزءًا كبيرًا من القوات الملتحقة بالجيش النظامي الحبشي، بعد أن تعهد هؤلاء الحكام بدعم الجيش

فرارهم من المعركة". انظر مراد كامل: الحبشة بين القديم والحديث، محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية المصرية يوم 4 مارس عام 1959م، ص ص 10-11، انظر أيضًا
- Roland Oliver Anthony Atmore :op ,cit,p.52.

1- وحين يكتمل طقس القربان، يعطون جميع جنود الشوا الخبز، وشراب العسل المخمر حتى يشبعوا للغاية". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.36.

2- "حيث زينهم وكثيرًا من جنود الشوا بملابس فاخرة، وودع الملك بنفسه جنود الشوا من مسكنه بالتقدير والاحترام". انظر:

- Perruchon:op,cit, p.180.

النظامي للدولة الحبشية حين تم إسناد مهمة حكم المقاطعات لهم[1]. كما كان حاكم كل مقاطعة يحتفظ بقوة دائمة، إضافة إلى القوة الاحتياطية التي يستدعى أفرادها في وقت الحرب[2].

وإضافة إلى قوات حكام المقاطعات التي كانت تنضم للجيش الحبشي، انضمت له أيضًا الفرق التابعة لأصحاب الإقطاع، والتي تباينت أعدادها بتباين عدد الأفراد التابعين لصاحب الإقطاع، وطبقًا لعدد قوات كل صاحب إقطاع منهم، و رغم أنها فى الغالب كانت أقل عددًا من تلك القوات التي جلبها حكام المقاطعات. إلا أن الحكم الملكي اعتمد بدرجة كبيرة على هذه القوات رغم الشك في ولائها (نظرًا لقيام كثير من أفرادها ببعض الثورات)[3]، و قد كان قوام هذه القوات في الغالب من أهالي المقاطعات المختلفة والمتمثلة في القبائل المختلفة في الدين واللغة، وقد احتفظت قوات كل إقليم بخصائصها المحلية واشتركت في الحروب في شكل فرق متعددة، مثل فرقة التيجري- ولاستا- وأمهرا – وشوا[4].

وإمعانًا في تفتيت وتقسيم الجيش فقد عمد الأباطرة الأحباش كذلك إلى تقسيم كل فرقة إلى وحدات أصغر بحيث يتولى قيادة كل وحدة منها قائد محلي[5]، والغالب أن كل وحدة منها كانت مكونة من قبيلة معينة، وينضم هؤلاء القواد جميعًا تحت قيادة قائد الجيش في المقاطعة الذي يطلق عليه لفظ الرأس Ras[6]، وكان مسؤولًا عن تعيين هؤلاء القواد المحليين، وبذلك كان الجيش الملكي يتكون من عدد من الرؤوس يشكلون

---

1 - بولس مسعد: المرجع السابق، ص36.

2 - Taddesse tamrat: op,cit., pp.89-90.

3 - Mordechai Abir: op,cit., pp.70-79.

4 - عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، دار مطبعة يوسف، القاهرة، ص45.

5 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.306.

6 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.426.

جميعًا المجلس الحربي للإمبراطور الذي يستشيره في المهام الحربية الخطيرة[1].

وفيما يختص بطريقة انضمام جنود المقاطعات للجيش الحبشي، فالغالب أن جنود المقاطعات كانوا يأتون إلى العاصمة بأوامر من الإمبراطور، حيث يقوم أحد هؤلاء الجنود بحمل علم المقاطعة التي ينتمي إليها، حيث كان لكل مقاطعة علمها الخاص، إلا أنه يكاد يتماثل مع العلم الحبشي في الطابع العام[2].

أما عن الأسباب التي دعت الملوك الأحباش إلى تقسيم الجيش إلى فرق من أقاليم وأجناس مختلفة، فهي تتلخص أساسًا في اعتقادهم بأن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد، وعدم الجدية في البلاء في الحرب، حيث تكمن خطورة الاعتماد على جنس واحد في انعدام التنافس بين أفراد الجيش في مجال الخدمة العسكرية[3]، أما في حالة التعدد في الأجناس فإن كل جنس منهم يقاتل في المعارك والحروب ببسالة حفاظًا على سمعته، ولكي لا يقال إن الجنود من هذا الإقليم وهنوا وتقاعسوا في القتال، وكان كل فريق في القتال يبلي بلاء حسنًا ويبذل غاية جهده إظهارًا لقدرته وتفوقه على الأخرين[4].

وقد وضع زرء يعقوب نظامًا لسرعة جلب جيوش المقاطعات في حالة استدعائها، وأصبح بذلك قادرًا على تعبئة الجيوش الكبيرة في وقت قصير نسبيًا[5]، خاصة أنه أصبح هناك وحدات جيش جاهزة في المناطق الخطيرة (خاصة ضد القبائل الرعوية التي تميزت بأسلوب الكر

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.48.

2 - Harold G. Marcus: op, cit, pp. 19-20.

3 - Harold G. Marcus:op, cit, p.22.

4 - Roland Oliver: The African Middle Age 1400-1800,p.49.

5 - Mordechai Abir Ethiopia and The Red Sea. p.47.

والفر)، وهكذا استطاع ملوك الحبشة تكوين فرق عسكرية بلغ عددها أربع وعشرين فرقة، كما زاد عمدا صيون عدد هذه الفرق بإنشاء عدة فرق متخصصة في أنواع معينة من الأسلحة، فإنشاء فرقة خاصة مسلحة بالسيوف، كما أنشأ أخرى من حاملي الدروع الذي يستعمل لحراسة النبالين مما يزيد من فعالية الجيش[1].

أما جيوش المسلمين والتي تميزت بكثرة أعدادها، فقد انقسمت أيضًا إلى قبائل، وكانت كل قبيلة تمثل فرقة في الجيش، وكانت كل فرقة متخصصة في استخدام نوع معين من الأسلحة في المعارك إضافة إلى استخدامها باقي أنواع الأسلحة[2]، فيذكر عرب فقيه أن الإمام أحمد قسم جيشه، حيث كانت قبيلة جري من أهل الخيل، وقبيلة هرتي أهل السيوف، وقبيلة يبري أهل القسي[3]، لكن جيشه كان من المتطوعين الذين يلتحقون بالجيش لفترة محدودة، أو دائمة لتأدية فريضة الجهاد[4]، ولذلك لم يكونوا مطيعين له تمامًا، ففي بعض الأحيان كانوا يخالفون أوامره مثلما حدث بعد انتصاره في معركة صمبر كوري عام 935هـ/1529م، كما تكرر هذا العصيان عندما دخل إقليم فطجار ورفض الجند دخول الحبشة وأجبروه على العودة إلى هرر، "فتعب الإمام وبكي بكاء شديدًا حتى أحمرت عيناه من شدة البكاء"[5].

4- الشفتا ودورهم العسكري في الحبشة

أطلق تعبير الشفتا على عصابات اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا بالمملكة الحبشية بداية من القرن الرابع الميلادي في عهد الملك عيزانا، واستمروا بها طوال عهد الأسرة السليمانية. ولقد تخصصت

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit., pp. 89-92.

2 - Roland Oliver Anthony Atmore: op.cit, pp. 114-118.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 154.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. pp.84-85.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 23-24.

هذه العصابات في الإغارة على القرى والمدن والقوافل التجارية، وقامت باختطاف الرجال والنساء والأطفال لبيعهم في أسواق الرقيق المختلفة داخل وخارج الحبشة[1]، والاستيلاء على أموال القوافل التجارية وبضائعها، كما كانت تستولي أيضًا على أموال ومواشي سكان القرى[2]، وكانت هذه العصابات في ذاك الوقت لا تتردد في قتل كل من يتصدى لهم من الأهالي والرعاة وأصحاب المواشي التي يستهدفونها[3].

ولم تقتصر خطورة هذه العصابات على قوة وشراسة أفرادها فحسب، بل ازدادت خطورتهم باستمرار في ظل انضمام بعض القبائل التي كانت تعيش على الحدود الشرقية والغربية للمملكة إليهم، إضافة إلى اشتراك قبائل البجة والزنافج التي كانت تعيش على الرعي مع تلك العصابات[4].

ولم يتوقف نشاط عصابات الشفتا عند حد إلحاق الضرر بالأهالي فقط، بل لم تسلم الكنيسة نفسها من شرهم، إذ سرقوا أكثر من خمسين بقرة تابعة لها، وأحرقوا خلايا النحل الخاصة بها، فضلًا عن إشعال النار في بعض مزارعها[5]. وقد ساعدت عوامل عديدة على اتساع نشاط تلك العصابات، يأتي في مقدمتها تلك الحروب التي لم تنقطع في الحبشة خاصة في عصر الأسرة السليمانية وعدم قيام حكومة مركزية فيها، مما أدى إلى عدم استقرار الأمن والسلام[6]. فضلًا عن وجود العديد من الاضطرابات الأمنية الأمر الذي أدى في النهاية إلى اتساع

---

1 - Paul E.le Roy: Slavery In The Horn Of Africa. " Horn Of Africa" , Vol 2 ,N3, July, September 1979,p.24.

2 - منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص6، زاهر رياض: الشفتا، ص215.

3 -Francisco Alvarez: op.cit., pp.277-279.

4 - استطاعت هذه القبائل أن تكون من نفسها عصابات جديدة تمارس هذا النشاط. انظر الحيمي: المصدر السابق، ص86.

5- Francisco Alvarez: op.cit., p. 195.

6 - رجب عبد الحليم: موقف الحبشة من ممالك الزيلع، ص631.

نشاط هذه العمليات، أخذًا في الاعتبار أن كثرة الجبال الطبيعية بالحبشة - والتي اتخذت منها تلك العصابات مسكنًا لها - زاد من ضعف الحكومة وعدم قدرتها على السيطرة على تلك العصابات خاصة في ظل المناخ الحار الذي كان ينهك جنود الحكومة في تلك المناطق[1].

وقد استشعر معظم سكان الحبشة الخطورة الشديدة لتلك العصابات، حيث عمدوا إلى حمل السلاح معهم أينما ذهبوا خاصة في حالات السفر بين المقاطعات المختلفة، وقاموا بالتدريب على استخدام السلاح كمحاولة للدفاع عن أنفسهم ضد أي مخاطر ناجمة عن التصدي لهذه العصابات[2]. إلا أن أفراد هذه العصابات لم يتيحوا أي فرصة لمقاومة الأهالي لهم فكانوا يقتلونهم ويقتلون المواشي الخاصة بهم في حالة الفشل في سرقة هذه المواشي وذلك لكي يشفوا غليلهم. وفي هذا الشأن يشير ألفاريز أنه رأى الطرق مليئة بالرجال والنساء والأطفال يحمل الكثير منهم أسلحتهم، فالبلاد دائمًا ما تكون في حالة حرب[3] وكان السكان على دارية كاملة بالطرق التي تتواجد بها تلك العصابات والطرق الآمنة منها، فقد كان هناك طرق شبه مأمونة يقطنها بعض العصابات يستطيع التغلب عليها، وكان هناك طرق غير مأمونة خاصة للمسافرين، يذكر أن تلك العصابات كانوا محاربين جيدين متمارسين، يعرفون فنون الحرب والقتال حيث كانت الجبال مجالًا واسعًا للتدريب عليها[4].

---

1 - زاهر رياض: الشفتا في إثيوبيا منذ العصور الوسطى، ص 215-226.

2 - لقد كانت القوافل التجارية تتعرض لسلب تجارتها وقتل بعض أفرادها، وذلك أثناء مرورها في الأنحاء المختلفة من الإمبراطورية، حتى أن هذه القوافل كانت تحرص علي أن تكون كبيرة العدد مدججة بالسلاح الكفيل بحمايتها. انظر.

Francisco Alvarez: op.cit., pp.283-301.

3 - يمدنا الأب الفاريز بكثير من الوقائع التي تبين أن السفارة البرتغالية قاست الأمرين من جراء حوادث السرقة والقتل، فقد فقدت سيوفًا، وخوذة، وملابس متنوعة، وعباءة، وأربعة أوعية نحاسية، وأربعة أواني. انظر:

- Francisco Alvarez: op.cit., pp.104-108,137.

4 - الحيمي: المصدر السابق، ص 88.

الدور العسكري لعصابات الشفتا

لم يكن لعصابات الشفتا غرض سياسي واضح تسعى إليه، كما أنها لم تستهدف الإطاحة بأحد الملوك أو منافسته على مقعد الحكم، إنما كان هدفهم الأول الإغارة على القرى والمدن واقتحامها ونهب أموالها. وقد انتهز قادة وزعماء هذه العصابات حالة الفوضى والاضطرابات التي ألمت بالبلاد خلال فترات ضعفها لتحقيق أغراضهم أو للانضمام إلى أحد الجيوش المعارضة للحكومة مقابل الاستيلاء على ما يقع تحت أيديهم من غنائم[1]. ولم يتمكن الأباطرة الأحباش أو حكام المقاطعات من التصدي لهم، بل ربما شجعهم البعض مقابل مشاركتهم في اقتسام هذه الأموال من ناحية، وكمحاولة لكسب ولائهم من ناحية أخرى[2].

علاوة على ما سبق فقد استعان أباطرة الحبشة بهذه العصابات في أحيان كثيرة لضرب المسلمين والإغارة عليهم وسرقة أموالهم ومواشيهم، وربما أمدهم البعض باحتياجاتهم من الأسلحة التي تساعدهم على أداء هذه المهام. وقد أشار عرب فقيه إلى كثير من هذه الإغارات على مقاطعات المسلمين والتي استهدفت إثارة الفتن في بلادهم[3]، وكان ذلك

---

1 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.69.

2 - ويقول الأب ألفاريز إنه قيل له إن هناك زعيمًا من عصابات الشفتا مكلفًا بنصب خيام الإمبراطور، وذلك دون أي مقابل وإنه يتلقى أتعابه من السرقة، وأن هذه العصابات ذات قيادة منظمة وتؤدي ضرائب عما تسرقه. انظر:

- Francisco Alvarez: op.cit., pp.110,166,199.

3 - كان أباطرة الحبشة ينتهزون فرصة أي خلاف يقع بين ملوك الزيلع وبين أمرائهم وقوادهم ورعاياهم، فيغرون هؤلاء على الهروب إليهم ويولونهم المناصب ويهبونهم الإقطاعات وتجنيدهم لحرب المسلمين، وليس أدل على ذلك من أن حاكم مدينة قاقمة الذي كان الإمام أحمد بن إبراهيم قد عزله عن حكمها، وذلك لشكوى الناس منه، ومن ظلمه لهم، فاغتنم إمبراطور الحبشة الفرصة وجذب ذلك الأمير إليه وولاه على هذه المدينة نفسها جردًا أي حاكمًا. انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص 94،

Taddesse tamrat: op.cit., p. 114.

عاملًا مهمًّا من العوامل التي أدت إلى ثورة بعض مسلمي الزيلع بهدف القضاء على هذه العصابات والإطاحة بها[1].

وحينما انقسمت المملكة الحبشية بين أكثر من أمير يرغب كل منهم في اعتلاء العرش مثلما حدث بعد أن مات الإمبراطور ناؤود بن أدماس Na'od (900-914هـ/ 1494-1508م)، استعان كل أمير منهم بأحد عصابات الشفتا وعمد إلى تجنيدهم وتمويلهم بالأسلحة اللازمة مقابل قيامهم بنهب البلاد وحرقها ليثبت ضعف الأمير الحاكم وعدم قدرته على إدارة شؤون البلاد. إلا أن هذه العصابات قد استغلت هذه الحالة من الفوضى، وعبثت في البلاد متطلعة إلى تحقيق أغراضها في السلب والنهب[2] وكانت لا تتردد في التحالف مع أي أمير يدفع لها أكثر. ولم يتوفر لأي من هؤلاء الأمراء الثائرين القدرة على إيقاف الأضرار الاقتصادية التي أوقعتها هذه العصابات في جميع أنحاء البلاد[3].

وهكذا استمر نشاط عصابات الشفتا في الاتساع بجميع أرجاء المملكة الحبشية، إلى أن بدأ بعض أباطرة الحبشة الأقوياء الذين لم يكن يرضيهم عمل هذه العصابات في التصدي لهم، فلم يكد عمدا صيون (714-745هـ/ 1314-1344م) يسمع عن اتساع خطر الشفتا خاصة في الأجزاء الشرقية من البلاد حتى دخل في حرب طويلة معهم استمرت لأكثر من أثني عشر عامًا مما اضطرهم إلى هدوء عملياتهم[4]. كما استطاع داود (784-814هـ/1382 – 1411 م) الحد من نشاطهم

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 31.

2 - انغمس ملوك المسلمين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر والربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، في الصراع على كرسي الحكم، وكذلك في الصراع مع هؤلاء الأمراء الأئمة حتى ينتقصوا من سلطاتهم أو يقضوا عليهم، إذا سنحت لهم الفرصة بذلك وكانوا في ذلك أيضًا يستعينون بتلك العصابات. انظر:
- Trimingham: op.cit. p. 48.

3 - السخاوي: المصدر السابق، ص71.

4 - القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص 378.

ووقف اتساع عملياتهم، حتى جاء زرء يعقوب (838-873هـ/ 1434-1468م) والذي أراد القضاء عليهم نهائيًا حيث نجح بالفعل في تحقيق هدفه إلى حد ما[1].

مما سبق يمكن استخلاص أن الدور العسكري لعصابات الشفتا لم يرجع إلى خطورتهم، ولا إلى رغبتهم في تحقيق أي مكاسب سياسية، فتلك العصابات لم يكن لها سوى أهداف محددة تدور حول سلب الأموال واصطياد الرقيق لبيعهم، وفي مقابل ذلك يمكن القول إن دورهم العسكري إنما جاء نتيجة ضعف بعض الأباطرة الأحباش في ذاك الوقت ورغبتهم في التحالف مع هذه العصابات لكسب ولائهم واستخدامهم في بعض حروبهم ضد المسلمين، وأيًا كان الأمر فلم تؤد محاولات الأباطرة للتحالف مع عصابات الشفتا إلى تحقيق أهداف هؤلاء الأباطرة بقدر ما أدت ذلك إلى الإضرار بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد خاصة خلال فترات ضعفها.

5- دور الرقيق في الجيش الحبشي

نشأ الرق بالحبشة كظاهرة اجتماعية تقوم على استغلال إنسان قوي لإنسان ضعيف بدلًا من قتله، فالأصل أن يولد الإنسان حرًا، إلا أن يكون من رقيق فيولد حينئذ رقيقًا، ويكون ملكًا لمالك والديه. ولقد كانت الحروب الحبشية في بادئ الأمر عاملًا على نشأة الرق الحبشي، ثم أصبحت الرغبة في صيد الرقيق سببًا لشن الحروب[2]. وقد نجم عن التوسع في عمليات صيد الرقيق بالحبشة عدة نتائج حيث أصبح الرق

---

1 - وعندما اتسع نشاط تلك العصابات في عصر لبنا دنجل حتى اكتسحت قرى بأكملها تدمر بيوتها وتحرق كنائسها وتسوق أبقارها، اضطر ذلك الإمبراطور إلى الاستعانة بأحدهم وهو جانا سور انبري ومعه أتباعه لصد غارات هذه العصابات. انظر بدر السيد بدر نصار: المرجع السابق، ص88،

Francisco Alvarez: op.cit., pp.114,118,139.

2 - عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، نوفمبر1979، ص 15-16.

مصدرًا لاستثمار رؤوس الأموال وتوطيد الملكية الفردية، وبذلك أصبحت الثروة قوة اجتماعية[1].

وإذا كانت الحروب الحبشية هي بداية نشأة الرق في البلاد، فقد أضيف مصدر آخر للرقيق الحبشي وهو اضطرار بعض الحبشيين ممن استحكم فيهم الفقر وباتوا جياعًا إلى بيع أنفسهم أو بيع أولادهم، ومثلهم الذين أثقلت الديون كاهلهم وعجزوا عن الوفاء بديونهم[2]، وإضافة إلى ذلك فقد قضت بعض القوانين باسترقاق من يرتكب أعمالًا تؤدي إلى الإخلال بالنظام الاجتماعي والسياسي السائد. وبذلك تمثلت مصادر الرقيق في الحرب والفقر والجريمة[3].

وحينما ازداد الطلب على الرقيق الحبشي وازدادت الحاجة إليه، أضيف للرق مصدر آخر وهو الرقيق المجلوب من خلال عمليات الاختطاف أو الشراء[4]، فقد تألفت عصابات في بلاد الحبشة في البر والبحر تخصصت في الإغارة على القوافل أو على الجماعات الآمنة، فأسرت رجالهم وسبت نساءهم وأطفالهم وساقتهم إلى مدن بعيدة حيث تم بيعهم فيها، في الوقت الذي شجعت فيه الكنيسة والملوك هذه التجارة[5] حيث اعتبرت أن امتلاك العبيد حق مقدس للملوك[6].

---

1 - Richard Pankhurst: op.cit.p.73.

2 - K.Ingham:op.cit.p77.

3 - عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص17، بولس مسعد، المرجع السابق، ص60-63.

4 - أحمد شفيق: الرق في الإسلام، ترجمة أحمد زكي، القاهرة،1938، ص8.

5 - تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من دعوة السيد المسيح بالمساواة بين الناس، إلا أنه نتيجة الضغط الذي تعرضت له الكنيسة في عصورها الأولى، اضطرت إلى الإعلان بأن المساواة التي دعا إليها السيد المسيح إنما هي مساواة في الروح، أما الجسد فإنه يخضع لكل ذي سلطان عليه، ومن يقاوم هذا السلطان يدينه الله، فقد دعا القديس بطرس العبيد إلى طاعة سادتهم حين قال لهم: "كونوا خاضعين ليس للصالحين فقط، بل للعنفاء أيضًا حتى أن العتق لا بد وأن يكون أمام الكاهن وثلاثة من الشهود". انظر عبد السلام الترمانيني: المرجع السابق، ص 31.

6- Richard Pankhurst: The Ethiopians,p.58.

ورغم تعدد مصادر الرقيق الحبشي على النحو السالف ذكره، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن أهم هذه المصادر جميعًا هو مصدران رئيسان، يشير المصدر الأول منهما إلى أسرى الحروب التي قامت بين الممالك الإسلامية والمملكة النصرانية، ويؤكد النص الحبشي في عهد لبنا دنجل أن هذه الغارات أصبح لها طابع انتقامي يثيره التعصب الديني، وكان قراصنة كل ملة يغيرون على مناطق الملة الأخرى، حيث يأسرون الرجال ويسبون النساء ويسوقونهم إلى بلادهم[1]، وقد أخذت هذه العمليات طابعًا حربيًّا عسكريًّا[2].

ولعل ما يدل على كراهية رجال الدين المسيحي للمسلمين ما يؤكده النص الحبشي عن الإمبراطور[3].

كما نجد على الجانب الآخر ما فعله المسلمون أيضًا بالأحباش المسيحيين حيث يوضح النص الحبشي ذلك[4].

أما المصدر الثاني فقد تمثل في عصابات الشفتا التي انتشرت ونشطت في الحبشة (كما سبقت الإشارة) في صيد الجماعات الضعيفة التي لا تقوى على التصدي لها[1].

---

1 - Mordechai Abir: Salt,Trade and Politicsin Ethiopia in The Zamana Masafent.Journal of Ethiopian Studies, Vol.IV.No2.1966.p.8.

2 - " وأسر أبناء وبنات المسلمين وهدم مساكنهم التي هناك وأحرق بيوتهم الحبشية". انظر:

W. Conzelman: op,cit,p.37.

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص65.

3 - " ويصعد إلى جبال المسلمين ويأسر كل من وجد..." حيث يتضح من النص أن الإمبراطور فعل ذلك بإيعاز منهم. انظر W. Conzelman: op,cit,p.38

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص65.

4 - وسيطروا على الكنيسة الحبشية... وهدموا كل بيوت العبادة الموشاة أسوارها بالذهب والفضة والأحجار الكريمة... وقتلوا معظم المؤمنين بالخناجر وسبوا الشباب والعذارى وكذلك الأولاد والبنات ثم باعوهم عبيدًا بؤساء". انظر W. Conzelman: op,cit,p.4.

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص63.

أ- طرق صيد الرقيق الحبشي:

يمكن الإشارة إلى طريقتين أساسيتين لصيد الرقيق الحبشي وذلك من قبل التجار وعصابات الشفتا، حيث تتمثل الطريقة الأولى في قيام هؤلاء التجار وأفراد العصابات بتنظيم حملات مسلحة يطوفون خلالها بالقرى ليلًا والناس نيام، ثم يقومون بإشعال النيران في بيوت القرية المصنوعة من القش أو كانوا يطلقون الرصاص في الهواء، فيفزع السكان ويخرجون من بيوتهم حيث يغير التجار عليهم ويتصيدونهم ويسوقونهم إلى مراكز تجارتهم[2]. أما الطريقة الثانية لصيد الرقيق هي قيام التجار بشراء الأسرى الزائدين عن احتياجات الأباطرة الأحباش، أو يندس بعض هؤلاء التجار في الحروب حيث يقومون باختطاف الجرحى وعلاجهم ومن ثم بيعهم في أسواق الرقيق[3].

ونتيجة لكثرة الحروب الحبشية، وكذلك اتساع نشاط عصابات الشفتا، فقد ازدهرت تجارة الرقيق في الحبشة[4]، بحيث أصبح المصدر الرئيس لصادرات الحبشة إلى مختلف دول العالم، حيث اكتظت بهم بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس[5]، وكان يتم تصديرهم من خلال موانئ الزيلع وبربرة ومالندي وسواكن وعدول[6]. ومما ساعد على انتعاش تجارة الرقيق الحبشي حسن بلائهم ومهارتهم الفائقة في الحروب، لذلك زاد الطلب على هؤلاء الرقيق رغبة من الدول المستوردة في تجنيدهم بجيوشها، وليس أدل

---

1 - Henry Darley: Slaves and Ivory in Abyssinia, Negro universities Press, 1969, pp.62-65

2 - Paul B. Henze: op. cit , pp.64-65.

3 - Francisco Alvarez: op.cit., p 259 see also Paul E.le Roy: op.cit., p.24.

4 - فقد كان يباع الواحد من هذا الرقيق "بربطة ورق وبخاتم واحد نظرًا لرخصهم وكثرتهم". انظر. المقريزي، الإلمام، ص16، أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،2003، ص 38.

5 - المقريزي: الإلمام،ص 18.

6 - الحميري: المصدر السابق، ص284

على ذلك من أن معظم قوات الدولة الرسولية في اليمن كانوا من الرقيق الأحباش[1].

يذكر أنه بعد قيام التجار والعصابات بصيد الرقيق، كانوا يعمدون إلى إجراء عملية إخصاء الرجال منهم بمجرد صيدهم، حيث كانت مدينة شقلو مركزًا لإجراء عمليات الإخصاء، وقد تعرض الكثير من الرجال الرقيق لأخطار الوفاة من جراء وسائل الخصي المستعملة آنذاك، إلا أن من نجا منهم كان يرسل إلى مملكة هدية لتلقي العلاج اللازم[2]، "فتعاد عليهم المواسي مرة ثانية، حتى ينفتح مجرى البول، لأنه يكون قد انسد"[3]. ولذلك فقد اشتهرت هدية بتجارة الرقيق الخصيان الذين أطلق عليهم اسم "الطواشي"، والذين تميزوا بارتفاع أسعارهم، وقد انعكس ذلك في النهاية على ازدياد قوة هدية العسكرية حيث اعتبرت من أقوى ممالك الطراز الإسلامي عسكريًا، إذ قدر عدد المحاربين بها "بأربعين ألف فارس غير الرجالة فإنهم كثير مثل الفرسان مرتين أو أكثر"[4].

ب- استخدامات الرقيق

لعب الرقيق الحبشي دورًا بارزًا بالجيش الملكي، فقد اختص الأباطرة الأحباش بعض الرقيق الأقوياء الأمناء المخلصين، وأشركوهم في بعض التدريبات العسكرية حيث تم تأهيلهم كجنود في الحرس الملكي خاصة في ظل توسيع المملكة الحبشية[5]. وقد ظهر ذلك بجلاء أثناء سير الموكب الإمبراطوري بين المقاطعات المختلفة، علاوة على ذلك فلقد كان

---

1 - وقد استطاع هؤلاء الرقيق الوصول إلى مناصب الحكم في اليمن، بل أسقطوا دولة بني زياد. للمزيد انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1975م، ص 180، 244.

2 - Henry Darley:: op.cit., p 68.

3 - المقريزي: الإلمام، ص 8.

4 - العمري: مسالك الأبصار، ص 44.

5 - K.Ingham:op.cit.pp79-80.

حكام المقاطعات والنبلاء يتخذون من هؤلاء الرقيق حراسًا وأمناء على أسرارهم وأعمالهم[1].

ومن الاستخدامات العسكرية الأخرى للرقيق الحبشي هي استغلاله كقوة نقاله لحمل المؤن والمستلزمات الحربية المختلفة، فقد سمح للفرسان والنبلاء (كما سبقت الإشارة) باصطحاب عبيدهم لمعاونتهم أثناء الحرب، حتى إذا أصيب أحدهم يمكن أن يقوم خدمه أو عبيده بمساعدته لإنقاذ حياته[2].

ونتيجة زيادة عدد أسرى الحروب من الرقيق بسبب كثرة الحروب بين الأمهرة ومسلمي الزيلع، فقد اتخذ الأباطرة الأحباش من هؤلاء الرقيق فرقًا إضافية بعد أن أعيد تدريبهم، وكان أول من أقدم على هذا العمل هو عمدا صيون عام 725هـ/ 1325م، والذي خطط لبناء جيش قوي عماده الأساسي هذه الفرق المكونة من أسرى الحروب والسكان المحليين في الأراضي التي تم احتلالها. وقد عهد إلى هذه الفرق بمهمة حماية حدود المقاطعات المختلفة، حيث نجحت بالفعل في دحر جيوش المسلمين من القبائل الرعوية والتي اتسمت بتباين نظامها وطرق تدريبها[3]. وفي عهد زرء يعقوب أعيد تنظيم الجيش من خلال توسيع فرق الحرس الملكي وزيادة عددهم بإضافة الجنود الجدد الذين جلبوا كرقيق من المقاطعات المختلفة[4]. وهكذا فقد شارك الجنود من الرقيق في العديد من الحروب الحبشية حيث قتل منهم أعداد كبيرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م حيث "قتل عبدان طواشيان من أهل خزانة الملك أحدهما يسمى جوهر والآخر يسمى مندل"[5]. وخلاصة القول أن هؤلاء الجنود من الرقيق قد

---

1 - Francisco Alvarez: op.cit., p 248.

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.23.

3 - Paul B. Henze: op. cit , p.65see also Paul E.le Roy: op.cit., p.24

4 - Paul B. Henze: op. cit ,p.66.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، 34-35.

ساهموا في بناء واستقرار وحدات للجيش بالمناطق الحدودية وأدوا دورًا بارزًا في التصدي لهجمات المعتدين على المملكة أو على الأقل تأخير هجوم الأعداء وتعطيلهم حتى تصل التعزيزات من العاصمة[1]، وذلك علاوة على ما لعبوه من دور مهم في العمليات العسكرية ضد الزبالعة، وفي حمل لواء الملك الحبشي[2].

ولما كانت قوة كل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة التابعة لملك الحبشة تقدر بما لديه من قوة عسكرية، لذلك اضطر هؤلاء الحكام إلى تجنيد آلاف الرقيق وإلحاقهم بجيوشهم للتباهي بمدى قوة وعدد الجنود بهذه المقاطعة أو تلك[3]. كما كان على هؤلاء الحكام إرسال بعض مما لديهم من رقيق كإتاوة سنوية إلى الإمبراطور الحبشي حيث كان يضمهم الإمبراطور إلى بلاطه لاستخدامهم في أعمال الخدم وتوفير متطلبات واحتياجات الإمبراطور فضلًا عن تدريبهم كمحاربين في الجيش إذا اقتضت الضرورة[4].

إضافة إلى ما لعبه الرقيق الحبشي من دور بالغ الأهمية بالجيش الحبشي، فلقد كان لهؤلاء الرقيق أدوار مهمة أخرى سلمية، فلقد استخدم النبلاء ورجال الكنيسة الرقيق في مجالات العمل الشاقة المختلفة خاصة في رعي الماشية و زراعة الأرض والخدمة في المنازل، لدرجة أن بيوت الأحباش الأثرياء كانت تزخر بالإماء والعبيد للقيام بأعمال الخدمة وقضاء الحاجات، فهم الذين ينقلون السلع والمحاصيل على رؤوسهم بدلًا من الدواب لخدمة النساء[5]. ويشار إلى أن مثل هذه

1 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.65.

2 - Trimingham,: op, cit, p. 83.

3 - Budge: op.cit., pp.298-301.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.47.

5 - Mordechai Abir: Salt,Trade and Politicsin Ethiopia, pp.8-9.

الأدوار لم تكن قاصرة على الرقيق المملوك للنبلاء فقط، بل لم تتوانَ الكنيسة أيضًا في استخدامهم في مثل هذه الأغراض جميعًا[1].

وإضافة إلى استخدام الرقيق لخدمة نساء القصر الملكي والقيام بالأعمال المهنية الأخرى، فقد تم استخدامهم كذلك في حمل الهدايا القيمة لإرسالها إلى ملوك الدول الأخرى[2]، مثلما فعل الإمبراطور داود حيث أرسل إلى الظاهر برقوق سلطان مصر (874-791هـ/ 1382-1388م) التجار يرافقهم واحد وعشرين رجلًا من الرقيق يحملون الهدايا القيمة من القماش والتحف وعدة قدور ملئت بالذهب، وزباد وعود وجوار جبشيات وطواشية أحباش، وعد ذلك من تحف الحبشة وطرائفها، حيث صعدوا بها إلى القلعة لتقديمها إلى الملك[3]. كما أرسل زرء يعقوب وفدًا إلى مصر عام 848هـ / 1444م في عهد السلطان الظاهر جمقمق (842-857هـ/ 1438-1453م) وبرفقته تاجر رقيق يحمل أكثر من مائتي رأس من الرقيق كهدايا لهذا السلطان، كما استخدمهم الأباطرة الأحباش كذلك في ضرب المعارضين المسلمين للمملكة حتى أن أحد هؤلاء التجار (يدعى عبد الرحمن) قد تمكن من قتل سلطان عدل الإسلامية شهاب الدين أحمد بدلاي[4]. علاوة على بعض الاستخدامات الأخرى للرقيق في تأمين مرافق المملكة وبناء معابدها وقصورها وقلاعها وحصونها وأيضًا جهازها الإداري[5].

---

1 - صادق المؤيد العظيم باشا: رحلة الحبشة، تعريب رفيق العظيم وحقي العظيم، القاهرة، 1326هـ/1908م، ص103، Paul E.le Roy: op.cit., pp.22-24.

2 - Trimingham: op.cit., p.60.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص 379.

4 - تجدر الإشارة إلى أن بعض المراجع العربية قد انساقت وراء إطلاق الأحباش لهذا الاسم (بدلاي) دون فهم المعنى، فالأحباش قد أردوا تحقير بدلاي بهذا الاسم الذي يعني في اللغة الجعزية (الحيوان أو المتوحش)، غير أن بعض الباحثين يرى أنها تحريف من كلمة" أورعي" وهو لقب أطلق على مشايخ المسلمين والتي يرى أنها من الهررية من كلمة aw التي تعني الأب، وكلمة رعي فيكون المعنى (الأب الراعي)، وللمزيد انظر المقريزي: الإلمام، ص 7-8، مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 34.

5 - يذكر أن الإمبراطور إسحاق استخدم أحد تجار الرقيق والأسلحة في توصيل رسالة إلى الحكام الأوربين، وذلك بغرض مهاجمة مصر، إلا أن هذا التاجر انكشف أمره وتم إعدامه في مصر. للمزيد انظر:

وهكذا تعددت وتباينت الأدوار التي قام بها الرقيق في بلاد الحبشة، إذا انضم بعضهم إلى الجيش الحبشي والحرس الملكي، فحملوا السلاح ضد أعداء الدولة، كما ساهموا في حماية حدودها والدفاع عن مصالحها. كما شارك هؤلاء الرقيق في مساعدة الجنود وخدمتهم في أثناء المعارك المختلفة خاصة الفرسان وكبار قادة الجيش. وأخيرًا كان للرقيق دور في السلم كهدايا إلى ملوك وسلاطين الدول الأخرى وكذلك في حمل أثقال السفراء والوفود القادمين إلى الحبشة علاوة على قيامهم بأعمال تأمين المرافق وبناء المعابد والقصور وغيرها.

6- حجم الجيش الحبشي

أولى الأباطرة الأحباشُ اهتمامًا بالغًا بزيادة أعداد الفرق العسكرية، كما حرصوا على عدم الاستغناء عن أي فرقة منها، وبذلك وصل حجم الجيش السليماني إلى أعداد ضخمة من الجند، الأمر الذي دعا بعض المؤرخين للادعاء بأن كثرة الجيش الحبشي باتت من الأمور الظاهرة المسببة للنصر[1]، كما أبرزت المصادر الحبشية عظم الجيش الحبشي وكثرة جنده[2].

ويؤكد عرب فقيه ضخامة أعداد الجيش الحبشي فيقول إن هذا الجيش "كالجراد المنتشر لا يحصيهم إلا الله تعالى".. كما قال أيضًا إن "عساكرهم لا تعد لكثرتها"، "وكانوا عديدون كالجراد ونجوم السماء أو كحبوب الرمل في ناحية البحر"، كما ذكر عرب فقيه أيضًا: "وكان هناك

Paul B. Henze: op. cit ,pp.65 see also Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.24.

1 - Mordechai Abir:Ethiopia and The Red Sea. p.50.

2 - "وذلك بما لديه من جيوش غفيرة فهزمه جيش المسلمين في ظل الملك الممسوح بالدهن الذي كان بينهم". انظر:

W. Conzelman: op,cit,p.14.

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص18.

أربعة وعشرون بطريقًا، كل بطريق تحته جيش كثير لا يحصى"[1]، كما تؤكد المصادر الحبشية ما يرويه عرب فقيه[2].

ومما أظهر الجيش الحبشي بحجم أكبر أن النبلاء والفرسان وقادة الجيش كان لهم الحق في اصطحاب الخدم ممن يعدون لهم الأطعمة ويحملون عنهم الأثقال وبعض الأسلحة، كما سمح لهم أيضًا باصطحاب زوجاتهم معهم، وكان الغني منهم يفضل اصطحاب إحدى محظاياته بدلًا من زوجته[3]. ونظرًا لما ساهم به الخدم والزوجات ممن يصطحبهم النبلاء والفرسان في الزيادة العددية للجيش[4]، فقد قدرت بعض المصادر والمراجع التاريخية حجم الجيش الحبشي بأعداد كبيرة (قدرت بأكثر من خمسمائة ألف جندي بما في ذلك الفرسان والمشاة والزوجات والمحظيات)، إلا أن البعض الآخر يرى أن هذه التقديرات مبالغ فيها إلى درجة كبيرة، فلم يستقر الجيش على هذا الحجم طوال الوقت، حيث مر الجيش بفترات قوة وفترات ضعف، وكان الجيش الحبشي يصل إلى عدد من ذلك في فترات قوته (مثل عهود عمدا صيون وإسحاق وزرء يعقوب)، في حين كان يقل عدد الجنود عن ذلك بكثير في فترات ضعفه وخاصة حينما يتعرض للخسائر البشرية في أثناء المعارك[5].

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 38.

2 - "كثرة جيوشه ككثرة الجراد يتعدوا في عددهم العشرة آلاف... منهم الفرسان ولابسو الدروع الحديدي ومنهم المشاة... ومنهم من يقاتل بمنجنيق الزيت". انظر: W. Conzelman: op,cit,p.19

منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص41.

3 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص112.

4 - يذكر أن الإمبراطور بئد ماريام أبعد النساء عن المعسكرات عن أماكن المعركة، حتى لا ينشغل الجنود بهن أثناء المعارك، لكنه جمع كل النساء في معسكر خاص بهن، وتقوم الملكات زوجات الإمبراطور بالإشرف عليه. انظر:

.Perruchon: op,cit, pp136-137

5 - Paul B. Henze: op. cit , p.30.

وقد اهتم ملوك الحبشة بتدبير احتياجات جيوشهم من المؤن أثناء الحرب، خاصة في ظل اتساع الحدود وقيام بعض المعارك على بعد آلاف الأميال من العاصمة، فقد عمد هؤلاء الملوك إلى تشكيل فرق خاصة تتبع الإمبراطور مباشرة بحيث توكل إليها مهمة حمل المؤن إلى القادة، وكانوا يحصلون على هذه المؤن لجيوشهم من المناطق القريبة من ميدان المعركة. أما عن طبيعة تلك المؤن فكانت تشمل المياه والخبز بصفة رئيسة. وليس أدل على ذلك مما ذكره أحد الباحثين أنه في أثناء حكم الإمبراطور "لبنا دنجل" كانت هناك حملة تابعة له كانت تحمل المؤن إلى قادة الجيش لكنها أُسرت في أيدي المسلمين[1].

وهكذا فقد توافر لدى الجيش الحبشي التموين الكافي له، وذلك أثناء دخوله إلى أي مقاطعة، حيث اهتم الأباطرة الأحباش وبخاصة زرء يعقوب بأمر توفير المؤن تحت كل الظروف، إلى درجة أنه حتى إذا أراد السفر أمر بحمل الكثير منها على سبيل الاحتياط، وكانت كثرتها تعجب الأمراء أثناء تناول الطعام[2]. وفي هذا الصدد يدلل بعض الباحثين على ذلك بالقول إنه أثناء دخول الجيش الحبشي في عهد زرء يعقوب من بلد إلى آخر، كانوا يتسببون في انخفاض أسعار السلع الغذائية نظرًا لما يجلبه معه الإمبراطور الحبشي من مؤن كثيرة زائدة عن حاجته فتسهم في زيادة السلع وبالتالي انخفاض الأسعار، فضلًا عن المكاسب الكبيرة التي تعود على التجار كنتيجة لكثرة تعداد الجيش وكثرة ما يحمله من إمدادات ومؤن[3].

ولعل من الأسباب الأخرى التي دفعت إلى الاهتمام بزيادة تعداد الجيش، هو ما أسند إليه من مهام أخرى غير عسكرية. ذلك أن بعض الفرق المنوطة بمهمة حماية المقاطعات أسندت إليها كذلك مهمة حماية

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 249.

2 - عبد العزيز إبراهيم: المرجع السابق، ص201.

3 - Jones and Monroe: op. cit.,p59.

القوافل التجارية خاصة تلك التابعة للأباطرة[1]. فضلًا عن تكليف فرق أخرى ببعض المهمات الداخلية مثل تعبيد الطرق وإعداد الأرض للزراعة، الأمر الذي تطلب دائمًا وجود أعدادًا كبيرة من الجند لاستخدامها سواء فيما يتعلق بالحروب أو المهمات الأخرى الداخلية[2].

بناءً على ما سبق فقد اتضح بجلاء قوة الجيش الحبشي في العدد والعدة، كما اتضح أيضًا اهتمام الأباطرة الأحباش بإصلاح نظام التعبئة فيه وإدخال أحدث أنواع الأسلحة[3]،إلا أن ذلك كله لم يمنع وجود العديد من المشاكل داخل هذا الجيش منها ضعف ولاء الجنود لهؤلاء الأباطرة، بل على العكس من ذلك يمكن الادعاء بفقد الأباطرة للسيطرة على الجزء الأكبر من الجيش، ذلك أن ولاء جنود المقاطعات كان يرتبط بحكام هذه المقاطعات أكثر من ولائهم إلى الإمبراطور نفسه نظرًا لعدم وجود حكومة مركزية[4]. علاوة على ذلك فقد عانى الجيش في أحيان كثيرة من افتقاد الترابط بين القادة في ميادين القتال وضعف القدرة على تنظيم أنفسهم في وحدات وأقسام مختلفة نظرًا لما تميزت به كل وحدة من نمط خاص في القتال وسلاح معين تخصصوا في استخدامه، الأمر الذي يمكن معه القول أن الجيش في أحيان كثيرة (خاصة في فترات الضعف) كان يمثل خطرًا على الحكومة الملكية، لا سيما خلال تلك الفترات التي تجاهلت فيها الأسرة السليمانية ظروف البنية الأساسية للثقافة الدينية والعسكرية لملكتهم المتباينة في ذلك الوقت[5]. هكذا لعبت المقاطعات دورًا مهمًّا في جيش الإمبراطورية الحبشية، لذلك سنعرض تعين حكام المقاطعات الحبشية والمناصب العسكرية في تلك المقاطعات.

---

1 - فوزي مكاوي: المرجع السابق، ص185-186.

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea. p.82.

3 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.116.

4 - Taddesse tamrat: op.cit.,pp. 207-215.

5 - Mordechai Abir Ethiopia and The Red Sea. p.46.

7- التدريب القتالي

أما عن التدريب القتالي لهؤلاء الجنود الأحباش، وهو إعداد الجند للقيام بالأعمال القتالية الأساسية في القتال الفردي أو القتال الجماعي[1]، وقد اهتم أباطرة ذلك العصر بالتدريب لدرجة أن أصبحت حياتهم تدريبًا دائمًا وتنقلًا مستمرًا و تحولت حياتهم إلى غزو ودفاع طوال الوقت، ورغم أن التدريب لم يكن إلزاميًّا لهؤلاء الجنود، إلا أن بعض الأباطرة انتهزوا فرصة المعسكر الإمبراطوري الذي كان يجوب المملكة الحبشية لتدريب جنودهم على فنون الحرب والقتال[2].

وقد اعتاد الأباطرة تدريب أبنائهم على فنون الحرب والفروسية منذ نعومة أظفارهم، فكانوا يرسلون إلى أحد الحصون أو المقاطعات البعيدة حيث يكونوا مسؤولين من حاكم المقاطعة، وهناك يقضون فترة تدريب على فن الحرب والفروسية، وقد نشأ لبنا دنجل وقضى فترة شبابه بالكامل في ركوب الخيل ورمي السهام والصيد. وقد تربى أبناء الملوك على هذا السلوك لكي يتدربوا على فن إدارة المملكة فيما بعد[3].

ومن مبادئ التدريب الاستمرار وتطوير السلاح والتدرب عليه، واستخدام الأسلحة الجديدة، مع مراعاة الحذر أثناء التدريب وأخذ احتياطات الأمن لئلا يصاب أحد[4]. كما كان على القواد والجنود، التدريب والاستعداد واتخاذ السلاح الجيد والخيل الجياد والتدريب على رياضة الخيل، والأبدان[5].

---

1 - نعمان ثابت: المرجع السابق، ص 64.

2 - Budge: op.cit.,p.289 & Francisco Alvarez: op.cit.,p.285.

3 - Taddesse Tamrat: op, cit , p 276.

4 - ابن جماعة الحموي: مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر في فضل الجهاد، تحقيق أسامة ناصر النقشبندي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م. ص115.

5 - مجهول: مجموع في الفروسية والخيل والرمي، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية، رقم 47 فنون حربية، ورقة 24.

وبناءً على ما سبق وإيمانًا من الأحباش بأهمية التدريب على القتال، فقد أصبحت حياتهم تدريبًا دائمًا وتنقلًا مستمرًا حيث تحولت حياتهم إلى غزو ودفاع طوال الوقت[1]. ولما كان لا بد لمن يقوم بهذه الأعمال أن يجيد ركوب الخيل واستعمال السيف والرمح ورمي النشاب، فقد أولى الجنود الأحباش اهتماما بالغا بالتدريب على هذه المهارات القتالية، وذلك رغم أن هذا التدريب لم يكن إلزاميًّا، ففي الوقت الذي حرص فيه معظم الجنود الأحباش على تلقي التدريب المناسب على القتال، فإن منهم كذلك من كان لا يحرص على هذا التدريب[2]. فقد انتهز الملوك الأحباش فرصة المعسكر الإمبراطوري الذي كان يجوب الدولة الحبشية لتدريب جنودهم على فنون الحرب والقتال[3].

ولعل من أهم الجوانب التي ركز عليها الجنود الأحباش خلال تدريباتهم القتالية ركوب الخيل والسباق من خلال الجري على الأقدام والرماية والضرب بالسيف والطعن بالرمح، والنضال بالسهام. وقد اهتم الأحباش بكل هذه الأمور بشكل جيد على اعتبار أن الجيش يقضي حياته كلها إما غازيًا أو مغزوًّا[4].

كما اهتم الأحباش المسلمون بالتدريب العسكري، فقد حث الإسلام على التدريب العسكري وأول ما حث عليه إتقان الرمي، ولقد آمن المسلمون الأحباش بأن التدريب هو أهم وسائل كفاءة الجيش[5] وأن العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة، وذلك إعمالًا لما ورد في القرآن

---

1 - Budge: op.cit.,p.289.

2 - Francisco Alvarez: op.cit.,p.285.

3 - زاهر رياض: العصر الأول، ص104.

4 - زاهر رياض: الفرسان و الفروسية في إثيوبيا في العصور الوسطى، ص 263.

5 - أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1970، القاهرة، ص 103.

الكريم قال تعالي: "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً"[1].

وعلى ذلك وكنتيجة لاهتمام المسلمين الأحباش بالتدريب القتالي تنفيذًا لتعاليم دينهم، فقد اتسم جنود الجيش الإسلامي بالالتزام التام بأداء واجباتهم، كما تحلوا بالصبر في القتال، واعتبروا أن الهدف منه هو الجهاد في سبيل الله وليس حصد الغنائم. لذلك فقد كان الجندي الحبشي المسلم يقوم بتسليم كافة المغانم التي في حوزته إلى قيادة الجيش وكان يلتزم بطاعة الأمير وتنفيذ أوامر القائد(2).

لذلك فإن جنود الجيش الإسلامي التزموا بالقيام بواجباتهم والتزاماتهم، ومنها الصبر في قتال العدو، والقتال في سبيل الله وليس من أجل المغانم، وتسليم كل ما يقع في يده إلى قيادة الجيش، والالتزام بطاعة الأمير، وإطاعة أوامر القادة وتنفيذها(3).

8- الموكب والمعسكر الإمبراطوري

حكم ملوك الأسرة السليمانية إمبراطوريتهم المتباينة من خلال المعسكر الإمبراطوري، فلقد اقتضت حياة الحروب المستمرة وجود الملوك دائمًا في خيام حيث تعودوا على الحياة فيها وعزفوا عن حياة القصور، ولم تكن هذه الحياة جديدة على ملوك السليمانيين، بل كان ذلك تقليدًا منذ القدم[4] فلقد عاش ملوك الزغاوة في هذه المعسكرات كزعماء عسكريين للبلاد، وكانوا يقيمون المعسكرات خلال فصل الجفاف من كل عام[5]. وكان الملك يخرج في جولات تفتشية لكي يراقب تنفيذ تعليماته بأقاليم الدولة المختلفة، ويعطي أوامره، ويؤكد سلطانه،

---

1 - سورة النساء، الآية 102.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 316.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 67.

4 - Mordechai Abir: op.cit., p.46.

5 - Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, p.47.

ويعاقب كل من يحاول الخروج عن طاعته[1]. لذلك كله فلقد اعتبر المعسكر الإمبراطوري هو المركز الرئيس للمملكة المسيحية في الحبشة في خلال فترة العصور الوسطى[2].

ولعل من أهم الظروف كذلك التي اقتضت ضرورة وجود الموكب الإمبراطوري، كثرة تجوال الإمبراطور الحبشي في ربوع مملكته وعدم استقراره في مكان ثابت، مستخدمًا خيام كثيرة له ولبلاطه، حيث اعتبرت هذه الخيام والمعسكرات المتنقلة بمثابة عاصمة للدولة. لذلك فلقد كان الموكب الإمبرطوري يكتظ بالآلاف من الرجال والنساء الذين تتروح أعدادهم ما بين 30-40 ألف نسمة[3] وكان هذا العدد الهائل من الأفراد يقف على الطرق المليئة بالرجال والنساء والأطفال من أبناء المقاطعة الراغبين في التقرب من الإمبراطور، ولكن الحرس الملكي كان يحول بينهم وبين ذلك إلى أن يسمح لهم الإمبراطور بالاقتراب ليرفع كل منهم مظلمته ويأمر المسؤولين بالعمل على حلها. وبذلك يترسخ الاعتقاد الشائع بمطابقة المعسكر الإمبراطوري في كل شيء لدور العاصمة الثابتة[4].

ولقد كان الموكب الإمبراطوري يضم بالإضافة إلى الإمبراطور في أثناء تنقل موكبه كل من آل بيته، وحاشيته، وخدمه، وكبار مسؤولي دولته، فضلًا عن القساوسة ورجال الدين[5]. ولقد كانت الحاجة إلى جهود هؤلاء القساوسة ورجال الدين تزداد إذا ما صادف وقوع أحد الأعياد

---

1 - Francisco Alvarez: op.cit., p 266.

2 - ت. تامرات: السليمانيون في إثيوبيا، ص 435، زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا، ص 89-92،ص 227.

3 - Francisco Alvarez: op. cit., pp137,268.

4 - Jones and Monroe: op. cit.,p.67.

5 - كان على رأس رجال الدين المصاحبين للملك في موكبه المطران، حيث يصحبه معه في رحلاته خوفًا من أن يصل أحد منافسيه إليه ويجبره على تتويجه، وكذلك لكي يعلم الشعب أن هذا الملك هو الوحيد الذي تؤيده الكنيسة- للمزيد انظر: أنتوني سوريال، المرجع السابق،جـ2،ص43، الشكل رقم (21) في الجزء الثاني من الكتاب.

الدينية أثناء إقامة الموكب، حيث كان يقام احتفال بالغ الأبهة يرتدي خلاله رجال الدين أفخر الثياب والقبعات التي تشبه التيجان[1]. ويقومون بخدمة الكنائس الملكية العديدة ويلبون الحاجات الروحية للإمبراطور وحاشيته[2]. ويذكر في هذا الصدد أن الموكب الإمبراطوري كان يتحرك من منطقة إلى أخرى ليعسكر فيها دون أن يعود إلى العاصمة[3].

أما عن طريقة سير الموكب، فلقد كان يسير بطريقة منتظمة لا يتوقف إلا في الأديرة بجانب الطريق، حيث يتقدمه رجال الحرس الملكي الذين ارتدوا قمصانًا وقماشًا حريريًّا أبيض وغطوا أكتافهم بجلود الأسد. كما ارتدوا الجواهر حول رقابهم، في الوقت الذي تدق فيه الطبول لإسماع الناس بِمقدِمِ الموكب حتى يسارعوا للانضمام في الموكب[4]. كما كان "يتقدمه قوم مرصودون لإصلاح طرقها بآلات القطع لأشجارها ويطلقون فيها نار لحرقها وأولئك القوم كثير عندهم"[5]. وكان إسحاق بن دواد (817-834هـ/ 1414-1429م) لا يخرج إلى موكبه إلا وهو يحمل صليبًا ضخمًا من ياقوت أحمر[6]. وكان الموكب يسير وتحف به

---

1 - Ullendorff: op. cit. pp.170-171.

2 - Budge: op. cit., p. 291.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., pp.269-272.

4 - قامت الإمبراطورية الحبشية بتعيين شخص يقوم بكشف طريق الموكب أولًا، ويختار مكان إقامة المعسكر، ويعرف مواقع الماء والأخشاب اللازمة للموكب، ويغرس علمًا عندما يقع على المكان المناسب حيث توضع خيمة الملك فيقبل الخدم لإقامة المعسكر، وهذا المنصب هو "الفيتاوراري"، وهو يعني "المشرف على مقدمة الجيش" للمزيد انظر القلقشندي: المصدر السابق، جـ 5، ص 334، محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص375.

Blundell: op. cit., p.236.

5 - العمري: المصدر السابق، ص45.

6 - المقريزي: الإلمام، ص 5.

دائمًا المهابة والأبهة، ويحيط به على الجانبين الفرسان والجنود يحملون السيوف والدروع في أيديهم كما لو كانوا على استعداد للحرب[1].

وهكذا فلقد أصبح الغرض الرئيس من هذا الموكب هو إظهار قوة المملكة وهيبتها وسيطرتها على جميع أرجاء البلاد، خاصة في ظل ضعف الحكومة المركزية التي سعت إلى السيطرة على حكام المقاطعات التي كانت تحاول الاستقلال ذاتيًا، لذلك فقد اعتبر المعسكر الإمبراطوري هو رأس مال الملك ووسيلته الأساسية لحكم البلاد[2].

وعند استقرار الموكب الإمبراطوري في منطقة من المناطق، كان يتحول تلقائيًا إلى معسكر إمبراطوري أُطلق عليه لفظ ججول Jagol

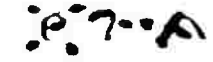

أو Djjogul

بمعنى السور [3] وكان من أهم نتائج استقرار الموكب في مكان من الأماكن وتحوله إلى معسكر ملكي هو ازدهار التجارة في مكان استقرار هذا الموكب بما يعني تحول هذا المكان إلى مركز للتبادل التجاري، حيث يقبل التجار من جميع أرجاء المملكة الحبشية ومعهم بضائعهم، والتي تباع بأرخص الأسعار نتيجة الرواج الاقتصادي وكثرة عمليات البيع والشراء نتيجة كثرة حجم الجيش وأفراد الموكب خاصة في ظل وجود كبار مسؤولي المملكة في المعسكر[4].

---

1 - Francisco Alvarez: op.cit.p.285.

2 - Budge: op. cit., p. 294

3 - وهي تعني في الأمهرية السور،أو السياج، وبالبلاط سور خارجي وسور داخلي، والاستخدام الأوسع للكلمة يعني أسوار البلاط ككل بحيث تؤدي دلالته إلى معنى القصر. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص18.

Taddesse tamrat: op.cit., p.269.

4 - Jones and Monroe: op. cit.,p59.

مكونات المعسكر الإمبراطوري

يتكون المعسكر الإمبراطوري من مجموعة من الخيام خاصة بالإمبراطور وحاشيته وممتلكاته، حيث تختلف مكونات كل خيمة وطريقة ترتيبها وتنظيم محتوياتها باختلاف استخدامات كل منها وذلك وفقًا لما هو مبين بالشكل رقم ( ). وفيما يلي وصف توضيحي لهذه الخيام وملحقاتها واستخدامات كل منها بشيء من التفصيل:

أ- خيمة الإمبراطور

يتوسط المعسكر الإمبراطوري خيمة الإمبراطور، وهي خيمة كبيرة بيضاء كبيرة عالية يبلغ ارتفاعها 50 ذراعًا وطولها 60 ذراعًا، وقد صممت بهذا الارتفاع الكبير حتى تسمح بدخول الإمبراطور إليها محمولًا على فرسه[1]، وهي تقام عند ما يسمى ببيتا أبنسا دج (أي باب بيت الأسد)[2]، وتحتوي خيمة الإمبراطور على العديد من الستائر التي تحجب الرؤية حتى لا تكون مشاهدة الإمبراطور سهلة[3]، وكانت هذه الخيمة تقام في مكان بارز وحولها أرض فضاء للحماية من بعض المخاطر[4]، ويوجد حول خيمة الإمبراطور ثلاثة عشر مخرجًا منفصلًا يسمى كل منها باسم خاص، إلا أن أهم هذه المخارج جميعًا هو الباب الرئيس والذي يأخذ اتجاه الغرب وسمي Widinash Daj، وهو موجه لمكان لإقامة الإمبراطور في المنتصف، وعلى جانبي هذا الباب كان يوجد ستة أبواب أخرى على الجانبين على مسافة متساوية من بعضهم البعض[5].

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 302،انظر الشكل رقم (22) في الجزء الثاني من الكتاب.

2 - وتقام بجوارها خيمة صغيرة بجوارها تسمى شلمات دج وهو باب تسليم الأوسمة أو الميداليات. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص19.

3 - أطلق على هذه الستائر اسم "المنطولاعت" وهو ستار من الديباج ويبلغ طوله ما يقرب من مئة وأربعين ذراعًا. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص22.

4 - Ronland Oliver: The African Middle Age 1400-1800, p.47.

5 - يقول ألفاريز إن عدد هذه الأبواب اثنا عشر باب، لكنه رأى بعينه أربعة فقط بالإضافة إلى الباب الرئيس الذي كان في مقدمة الموكب،

Francisco Alvarez: op.cit.,pp.266-269.

ولعل طريقة توزيع المخارج الخاصة بخيمة الإمبراطور بواقع ستة مخارج على جانبي الخيمة، يشير إلى وجود نوع خاص من نظام الازدواج بمؤسسة البلاط الملكي، بل وفي مسؤولي مكتب الإمبراطور أيضًا، مما يعني أن هؤلاء المسؤولين يتوزع ترتيبهم على جانبي المعسكر يمينًا ويسارًا من الباب الرئيس[1]. وكانت هذه الأبواب يقوم على حراستها كبار مسؤولي الحرس الملكي، بحيث يضمن هذا النظام عدم دخول أي فرد من أي باب منها، إلا بموافقة الإمبراطور شخصيًّا[2].

ب- الخيام الملحقة بخيمة الإمبراطور

إضافة إلى الخيمة الإمبراطورية الرئيسة، كانت هناك أيضًا مجموعة أخرى من الخيام الملحقة بها، فقد وجدت خيمة خاصة بكنوز الإمبراطور، كما وجدت خيمة خاصة بالملكة الأم، والتي ضمت أيضًا أطفال الإمبراطور، وكانت خيمة الملكة الأم قرب الباب الذي يسمى Qulf Daj[3].

ونظرًا لتعدد زوجات الإمبراطور (حيث أنه من المعتاد أن الإمبراطور الحبشي كان له على الأقل ثلاث زوجات) فلقد وجدت ثلاث خيام للملكات[4]. كذلك فقد وجدت أيضًا الخيام الخاصة بخدم هؤلاء الملكات والحرس الخاص بهن، إضافة إلى خيام المطابخ الملكية والمسؤولة عن تقديم الطعام للإمبراطور وعائلته[5].

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit., p.269.

2 - يقدر ألفاريز عدد جنود الحرس الملكي بحوالي ثلاثة عشر ألف حارس، انظر
Francisco Alvarez: op.cit., pp.437-438.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p.270.

4 - عن تفاصيل هذه الخيام الإمبراطورية ومسمياتها انظر:
Sergew Hable Selassie: op, cit., pp.264-269.

5 - وتسمى أبواب هذه الخيام مبلعا دج وهو باب الطعام وللمزيد انظر:
Taddesse tamrat: op.cit., p.271.

يذكر أن الخيمة الملكية كانت تُحاط بسور على شكل دائرة عرفت باسم المكابيبا Makkababya[1] حيث يلي هذا السور ثلاث خيمات أخرى تستخدم لأغراض مختلفة. فالأولى هي الخيمة الأقرب للإمبراطور وتسمى الخيمة العليا (لاعلاي فيت) وهي مخصصة لإدارة أمور الدولة والبت في القضايا المستعصية من قبل رجال الدولة[2]. أما الخيمة الثانية وهي الخيمة السفى (تاحتاي فيت) وهي خيمة معدة لسكن حارس البلاط الملكي. أما الخيمة الثالثة فهي تتوسط الخيمة العليا والخيمة السفلى وتسمى بالخيمة الوسطى، وتستخدم كممر يفصل بين الخيمتين السابقتين حيث يستخدم هذا الممر كل من القادة والكهنة ورجال الدين[3].

ج- المصليات الملكية

اشتمل المعسكر الإمبراطوري كذلك على ما يسمى بالمصليات الملكية[4] والتي أقيمت على كل جانبي خيمة الإمبراطور، كما وجد رجال الدين الذين قاموا على خدمة هذه المصليات،إلا أن المسؤول الأول عنها هو الأكابي ساعات aqabe sa at[5] وبجواره إلى اليمين كان هناك مصلى آخر كان المسؤول عنه هو الأسقف المصري والذي أقيمت له خيمة خاصة قرب مصلى الصليب[6].

---

1 - أي الدائرة التي تحيط بخيمة الإمبراطور، وتعني في الأمهرية (أحاط) انظر: مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص21.

2 - يذكر أنه لا يصعد إلى هذه الخيمة إلا الجان دربا، وهو الحاجب المسؤول عن حجرة الملك أو الخصي.

3 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص22.

4 – هي كنيسة صغيرة تصلي فيها العائلة المالكة والنبلاء مع أحد رجال الدين.

5 - الأكابي ساعات يعني بالنسبة للأحباش "ولي أمر الساعات"، وهو يعني ترتيب المكاتب والمجالس للملك وهو يعلن أيضًا أوامر الملك، وهو يعيش دائمًا في بلاط الملك.

6 - Taddesse tamrat: op.cit., p.272.

د- الخيام الخاصة بقادة الجيش ومسؤولي البلاط وأتباعهم

كانت الخيام الخاصة بقادة الجيش ومسؤولي البلاط تقع ضمن دائرة الإمبراطور، إلا أن الخيام الخاصة بأتباعهم وضعت بعيدًا خارج نطاق المعسكر، ولكن على نفس جانب سادتهم. ولعل من أهم المسؤولين العسكريين بالمعسكر الملكي، وزيرين كبيرين يدعى كل منهم باسم Bihtwaddad وبالأمهرية Bitwaddad[1] حيث أقيمت الخيام الخاصة بهما على أطراف المعسكر الإمبراطوري، في حين أقيمت الخيام الخاصة بقواتهما الخاصة خارج المعسكر وذلك لحمايته من دخول أي شخص طبقًا للقوانيين الملكية المعمول بها[2].

ن- الخيام الخاصة بأتباع الإمبراطور

أقيمت الخيام الخاصة بأتباع الإمبراطور من العبيد، والمزارعين والإقطاعيين، وحكام المقاطعات، خارج المعسكر، كُل مع أتباعه المتعددين وخصص لهم البابان الإماميان (على جانبي الباب الرئيس) حيث أطلق على كل باب اسم Sargwan Daj[3]، ويذكر أن هؤلاء الأتباع لا يدخلون على الإمبراطور إلا بعد موافقته شخصيًّا، كما سمح لحكام المقاطعات الخاضعيين للجزية بالمرور من هذين البابين فقط عند تقديم الجزية أو عندما يريدون رؤية الإمبراطور[4]. وربما يشير ذلك إلى اهتمام الإمبراطور بالضرائب بمختلف أنواعها حيث خصص خيمة

---

1 - لقد أطلق على الوزير الكبير أو الوزير الأول في حكومة الحبشة لعدة قرون، ويقال إنه منصب أنشأه زرء يعقوب. للمزيد انظر،

Huntingford: The glorious victories of amda tseyon, P. 12.

2 - Francisco Alvarez: op.cit., p.312.

3 - Taddesse tamrat: op.cit., p.272.

4 - وكان ذلك لا يتم إلا بموافقة رئيس الخصيان. انظر: عرب فقيه: المصدر السابق، ص302.

- Budge: op. cit., p.581.

كبيرة مقسمة إلى ثلاثين خيمة أصغر سميت ترشما[1]، والتي استعملها في وضع كل الضرائب التي جاءت من أرض الحبشة[2].

هـ- خيمة محكمة العدل

يواجه المعسكر الإمبراطوري مباشرة خيمة محكمة العدل، والتي يجاورها أيضًا خيمتان لاثنين من رؤساء المحكمة، وخيمتان أخريان للسجون حيث يبقى فيها السجناء الذين ينتظرون المحاكمة، هذا بالإضافة إلى خيمة أخرى لكنيسة العدالة[3]. ولقد وصف ألفاريز مكونات الخيمة الخاصة بمحكمة العدل، على أنها تحتوي على ثلاثة عشر مقعدًا بحيث يوضع مقعد طويل في المنتصف وستة مقاعد أخرى صغيرة على كل جانب، ويذكر أن هذه المقاعد جميعًا لا يجلس عليها أحد لأنها كانت مقاعد رمزية، في حين كان القضاه يجلسون على الأرض منقسمين إلى مجموعتين يمينًا ويسارًا[4]، حيث يحضر المدعي والمتهم ويسأل القاضي كلًّا منهما ويجيبان عليه، ثم يقوم بتلخيص هذه الإجابات إلى أن يعطي قراراته، وأخيرًا يجمع رئيس المحكمة كل هذه الحجج التي كتبها القضاة ورأي كل منهم النهائي في القضية حتى يصدر فيها القرار النهائي، إضافة إلى ذلك فقد سمح بوجود قضاة استئناف في حالة القضايا المهمة والتي كانت تتم بحضور الملك شخصيًّا أو نائبًا عنه[5].

1 - وهي خيمة ملكية صغيرة تحت خيمة أكبر. مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 20.

2 - هي خيمة ملكية صغيرة تحت خيمة أكبر. وهذه الخيمة الأكبر هي النازريت بيت: انظر مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 20.

3 - حيث يوجد بداخلها الأزازوتش أي القادة وهم القادة المختصون بمحاكمة البلاط.

4 - Francisco Alvarez: op.cit., p.241.

5 - Jones and Monroe: op. cit.,pp. 68-72.

و- قفص الأسود

وضع بجوار خيمتي القضاة قفص الأسود الأربعة، وهي أسود أسيرة ربطت بالسلاسل الذهبية، يمسكها أربعة من رجال البلاط، وهي ترافق الإمبراطور أينما ذهب لأنها تعد رمزًا له، وبجوار قفص الأسود بمسافة بعيدة وجدت كنيسة السوق حيث يوجد التجار والصناع في مختلف الحرف[1].

من خلال عرض ما سبق ذكره حول الموكب والمعسكر الإمبراطوري ومكوناته المختلفة، يمكن الإشارة إلى عدة استنتاجات وأمور مهمة، يشير الاستنتاج الأول إلى أن هذا المعسكر الإمبراطوري الضخم وإن كان كثير التحرك والتنقل من مكان إلى آخر، إلا أنه أثناء السير كان يحافظ على مثل هذا التنسيق والترتيب[2]، أما الأمر الثاني فهو يشير إلى أن كثرة انتقالات الإمبراطور من مكان إلى آخر كانت مرتبطة أما لضرورة حربية أو لزيارة إحدى الكنائس أو متابعة إحدى المقاطعات[3]، أما الأمر الثالث فهو يشير إلى تجمع حشد هائل من السكان المختلفين لغويًا وعرقيًا حول المعسكر الإمبراطوري وهم يغنون كل بلغة بلاده، وقد شكل الإمبراطور وعائلته نواة هذا التشكيل المعقد من الجاليات العرقية والدينية. وبذلك فقد لعب المعسكر الإمبراطوري دورًا توحيديًا مهمًا حيث قرب بين الآف الأفراد الذين تفصل بينهم اللغة والجنس والدين[4].

وعلى الرغم مما حققه المعسكر الإمبراطوري من إيجابيات إلا أنه قد اعترضه بعض السلبيات أيضًا، ذلك أنه في ظل إقامة المعسكر الإمبراطوري في منطقة واحدة لفترة قصيرة نسبيًا، فقد ظلت الاتصالات

---

1 - يذكر أنه كان يوجد خيام خاصة بالصناع والحرفيين تقام في المعسكر الإمبراطوري، وقد أطلق على هذه الخيام " أقيت دبنا" بمعنى الحرفي أو الصانع. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص19.

2 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.267.

3 - Ronland Oliver: T he African Middle Age 1400-1800, pp.47-48.

4 - Mordechai Abir: op.cit., pp.46-48.

التي يجريها الإمبراطور مع السكان المحليين اتصالات سطحية عابرة، بل كانت تتخذ –أحيانًا- طابعًا قمعيًّا، لذلك ظلت العادات المحلية للملوك المقاطعات تحكم حياة السكان اليومية في مختلف المقاطعات والإمارات قبل كل شيء[1].

9- الأعلام والرايات في الجيش الحبشي

تعزز الرايات والأعلام روح الفريق في الجيش، وتبث في نفوس المقاتلين الفخر والاعتزاز والانتماء، فالرايات لها أثرها في الجيش وأثناء المعركة بل تؤثر في مصيرها، فإذا سقطت الراية دبت الفوضى في الجيش المحارب، لذلك فمن المفروض أن يحمل الراية بطل من أبطال الجيش، أو باسل من بواسل القبائل[2]. كما كانت هناك عدة طرق لحمل الراية، فيحمل الجندي الراية بطريقة لا تؤثر الريح فيه، ويجعل على عاتق حامله الأيسر ممسكًا بيده اليمني السيف، وقد يحمل الراية بيمينه والسيف بشماله[3].

ولقد اتخذ الأحباش أعلامًا متباينة من حيث الشكل واللون وذلك أثناء حروبهم المتعددة، ولقد كان لكل حاكم من حكام المقاطعات المختلفة راية خاصة تميز مقاطعته. أي إن عدد رايات الجيش الحبشي في حروبه يساوي حكام المقاطعات المشاركين في هذه الحرب، أما عن حملة هذه الرايات فغالبًا ما يكونون من الرقيق[4].

وكانت الرايات الخاصة بالمقاطعات المختلفة تماثل العلم الخاص بالمملكة الحبشية من ناحية الشكل إلا أنها كانت تحمل علامة خاصة تميز هوية هذه المقاطعة، ولقد كانت هذه الرايات تشترك جميعًا في

---

1 - Pichard Pankhurst: op.cit., pp.52-53.

2 - محمد جمال الدين محفوظ: العسكرية في الإسلام، سلسلة اقرأ الثقافية، مجلة شهرية، دار المعارف، رقم 598، 1994م، ص327.

3 - المسعودي: مروج الذهب،جـ2، ص359، محمود عواد، المرجع السابق، ص214.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.24.

كونها مطرزة بعلامة الأسد (الخارج من سبط يهوذا)، إلا أن هذه المقاطعات المختلفة لم تحافظ على لون معين لهذا الأسد[1]. فبعضها استخدم اللون الأبيض، والبعض الآخر استخدم اللون الأحمر، وفريق ثالث استخدم اللون الأصفر. وتجدر الإشارة أنه غالبًا ما كانت تعلو هذه الرايات كره بيضاء مفرغة من الذهب يعلوها صليب ذهبي[2].

أما الجيش الإسلامي فلقد اتخذ العديد من الرايات ذات الألوان المختلفة أيضًا، فنجد أن القائد محفوظ كان يستخدم علم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) المصنوع من الحرير الأخضر والذي جلب له من حكام مكة[3]. إلا أن الأحباش المسيحيين قد استولوا عليه في أحد المعارك[4]. كما اتخذ الإمام أحمد بن إبراهيم العديد من الرايات المتباينة الألوان منها البيضاء والحمراء والخضراء والسوداء وكذلك تلك التي تستخدم لونين مختلفين كالأصفر والأحمر في راية واحدة، أو الأصفر مع الأبيض[5].

ويذكر أنه كانت هناك فروق عديدة بين الرايات التي استخدمها الأحباش المسيحيون وتلك المستخدمة من قبل الأحباش المسلمين، فالأحباش المسيحيون قد كتبوا أسماء ملوكهم على راياتهم كدليل على مشاركة هذا الملك أو ذاك في المعركة، كما اهتم أباطرة الحبشة وقوادها برفع الصلبان أثناء الخروج إلى المعارك المختلفة، وقد حدث ذلك منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (وهو عصر ازدهار الحروب الصليبية) حيث أشار أحد أباطرة الحبشة في رسالة منه إلى بابا روما بأنه عندما يخرج إلى قتال أعدائه يكون محاطًا بثلاثة عشر

---

1 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص288.

2 -Francisco Alvarez: op.cit., p.135.

3 - Trimingham,S: op, cit, p. 83.

4 - Budge: op, cit, p.72, p. 329.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص111.

صليبًا من الذهب[1]، كما كان إسحاق بن دواد لا يخرج في موكبه إلا وهو ويحمل صليبًا ضخمًا من الياقوت الأحمر[2]. وكان الجيش الحبشي المسيحي يهتم بتخصيص عدد من الجنود يصل إلى حوالي عشرين جندي لحمل الصلبان والرايات[3].

وفي مقابل ذلك فقد عمد الأحباش المسلمون إلى كتابة آيات من القرآن الكريم تحث الجنود على القتال والنصر والشهادة في سبيل الله، كما كتبوا عليها بعض الحكم والمواعظ والأبيات الشعرية، ولذلك كانت راية المسلمين دائمًا أكبر في الحجم من تلك التي حملها الجنود المسيحيين، وكان الملوك المسلمين لا يخرجون إلى القتال إلا بصحبه عدد من المشايخ والفقهاء ورجال الدين الإسلامي، والذين يحثون الجنود على الثبات والاستشهاد في سبيل الله دفاعًا عن بلادهم وعقيدتهم[4]. وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ما فعله الإمام أحمد بن إبراهيم أثناء الحروب التي شارك فيها، فقد استخدم رايات كتب عليها الآيات القرآنية الآتية: قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين)[5] وكذلك: (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز)[6] وأيضًا (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين)[7].

ونظرًا لكثرة الآيات القرآنية التي كانت تكتب على الرايات، فلقد كانت الراية كبيرة جدًّا يحملها أكثر من جندي، حيث كان طولها يصل إلى

---

1 - Jones and Monroe: op, cit, pp.59-61.

2 - المقريزي: الإلمام، ص 5، رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية،ص99-101.

3 - Trimingham,S: op, cit, p. 87.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 41 - 84.

5 - [سورة: الروم - الآية: 47].

6 - [سورة: المجادلة - الآية: 21].

7 - [سورة: الصف - الآية: 13].

أكثر من سبعة أمتار، ورغم ذلك إلا أن عدد الجنود حملة الرايات بالجيش الإسلامي كان أقل دائمًا من نظيره المسيحي، ويذكر أنه في حالة استشهاد أحد الجنود من حملة الرايات، تجد من يحل محل الجندي المستشهد ليحمل الراية بدلًا منه[1].

أما عن طريق تقسيم الرايات والكتابة عليها، فلقد قسمت إلى أربعة أسطر بحيث يكتب على الأسطر الثلاثة الأولى منها آيات قرآنية، في حين يكتب على السطر الرابع أبيات من الشعر قيل إن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كتبها في رايته وهي:

الحرب إن باشرتها لا يمكن منك الفشل

واصبر على أهوالها لا موت إلا بالأجل[2]

10- ملابس القتال

تختلف هيئة الجنود بصفة عامة في وقت الحرب عنها في وقت السلم، وذلك في معظم الدول على اختلاف العصور، بحيث يكون للمقاتل هيئة في أهله، وأخرى عند مقابلة الأمراء والمسؤولين، وثالثة عند لقاء الأعداء في ساحة الحرب[3]. إلا أن بعض المصادر والمراجع التاريخية المتاحة لم تشر إلى وجود مثل هذا التمايز أو الاختلاف في عصر الأسرة السليمانية، الأمر الذي يمكن معه الادعاء بعدم وجود اختلاف جوهري لملابس الجنود في ذلك العصر في أوقات السلم عنها في أوقات الحرب، إلا أنه يمكن الإشارة إلى وجود تمايز أو اختلاف من نوع آخر، وهو ذلك الاختلاف بين ملابس الملوك وأمراء الجيوش من ناحية، وملابس الفرسان والجنود من ناحية أخرى[4].

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 41-43.

2 - المصدر السابق، ص84.

3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، جـ8، ص 289-290.

4 - K. Ingham: op. cit., pp. 71-72.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن أهم تغيير طرأ على ملابس القتال الحبشية قد حدث خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث عني الملوك خلال هذه الفترة الزمنية عناية فائقة بالملابس، فأدخلوا عليها الكثير من التعديلات والتحسينات، حيث ظهرت في النهاية بأشكال متنوعة تمايزت خلالها ملابس الملوك والأمراء من جهة، وملابس رؤساء القرى من جهة أخرى، وملابس الجنود والفرسان من عامة الشعب من جهة ثالثة[1]. وفيما يلي وصف لملابس القتال الحبشية خلال الفترة التاريخية موضوع الدراسة:-

أ- الملابس الخاصة بطبقة الحكام والنبلاء

ارتدى الحكام والنبلاء المعاطف الحريرية ذات المشابك الذهبية، وتزين بعضهم بالتيجان كما يشير إلى ذلك النص الحبشي[2]. كما استرسلت شعورهم على أكتافهم في ضفائر كثيرة، وتحلوا بالعقود والأساور[3]، كما كان للملك ملابس خاصة به إذا ما ظهرت بوادر المعركة يرتديها، وعادة ما يرتدي الملابس المذهبة التي كانت تصنع عادة من الحرير الوارد إليهم من اليمن[4].

ويُرجع المقريزى هذا التطور في الملابس إلى فخر الدولة –الكاتب القبطي- الذي فر من مصر إلى الحبشة في عهد إسحاق (817-833هـ/1414-1429م)؛ إذ تميز زى هذا الإمبراطور عن رعيته بالملابس

---

1 - Francisco Alvarez: op, cit , p. 69.

2 - "وفوضه الملك وهو يكلله بإكليل المملكة الذي هو من الذهب الخالص ومرصع بالأحجار الكريمة متعددة الألوان... وزينه بكل حلي المملكة". انظر:

- W. Conzelman: op, cit ,p.44.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 16.

3- Richard Pankhurst: op,cit,p.76 see also Richard Reush (D.D):History Of East Africa , London,1954,p. 64.

4 - العمري: المصدر السابق، جـ4، ص39.

الفاخرة، بعد أن كان أبوه داوود بن أرعد (784-814هـ/ 1382-1411م) لا يلبس هذه الملابس[1]. وشهد الحيمي على ذلك عندما زار الحبشة ودخل بلاط الملك (فقد تهيئوا بأعظم وأبهة حيث لبسوا مطارح الديباج... وجعلوا في أواسطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة ونفيس الجواهر... وأخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالصة، ورؤسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساورة الذهب وفي آذانهم الأقراط المتلألئة كاشتعال اللهب)[2].

علاوة على ذلك فإن سفراء الملوك الأحباش إذا ما أرسلوا إلى دولة أجنبية لغرض ما، فقد كانوا يتحلون بأبهى زينة حيث يرتدون الحرير الملون، ويضعون على رءوسهم قبعات طويلة من الحرير، وتحلوا بأقراط ذهبية كبيرة وبأساور ذهبية أيضًا[3].

ب- ملابس الفرسان الأحباش

وكان الفرسان الأحباش أنفسهم هم الذين يدبرون احتياجاتهم ويجهزون ملابسهم وأسلحتهم للحرب، وإن اختلفت مراتب هذا الإعداد حسب قدرة المحارب المادية، فهناك من امتلكوا المقدرة على تدبير أنفسهم بصورة لائقة وهؤلاء هم الذين كانوا يمتون بصلة ما إلى الملك، وهناك من افتقدوا هذه المقدرة على التدبير فكانوا يتخذون ملابس وأسلحة متواضعة[4].

---

1 - المقريزي: الألمام، ص4.

2 - الحيمى: المصدر السابق، ص 29-30.

3 - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص7.

4 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية في إثيوبيا، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، المجلد 19، 1951م، ص267.

وبصفة عامة فقد كان الفرسان الأحباش يعصبون رؤوسهم بلبد الأسد التي تلتف حول رؤوسهم لزيادة هيبتهم تاركة أعلاها مكشوفة[1]، كما كانوا يرتدون السروال الطويل الأبيض وعليه رداء طويل يصل إلى ما بعد الركبة بقليل وفوقه قميص واسع من القماش القطني المخطط، ويلبس الأغنياء منهم الحرير وفي وسطهم حزام عريض من الجلد يعلق به السلاح، وفوق هذا كله رداء من الجوخ ينسدل على الظهر والصدر ويصل إلى ما فوق القدم بقليل، لكنه يقصر عند الذراعين فلا يصل إلى ما فوق الكوع، والنصف الأمامي منه مقسم إلى قسمين متشابكين بمشابك من الفضة والذهب عند الصدر، وأطراف هذا الرداء مطرزة بخيوط من الذهب والفضة حسب قدرة الفارس الاقتصادية[2]، وقد يستبدلون عصابة الرأس برباط عريض من القماش المحلى بخيوط من الذهب جميلة، وينتهي من الخلف بمشبك تتدلى منه خصلة طويلة على ظهر الفارس، وتتدلى من أطراف عصابة الرأس كرات صغيرة من القماش المذهب معلقة في خيوط ذهبية رفيعة، أما من الأمام فتتزين هذه العصابة بقطعة ذهبية مستديرة الشكل أو مربعة يرتفع منها ما يشبه القرن من المعدن المذهب، كما يحمل الفارس مظلة صغيرة مجدولة من الخوص[3].

وقد عرف الفرسان الأحباش الخوذات[4]، فضلًا عما كان يعرف بالزنوط[5]، وهو أيضًا لباس للرأس، وإن كان هذا اللباس الأخير أكثر

---

1 - العمري: مسالك الأبصار، ج 4، ص 39.

2 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 49.

3 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 279، كذلك

Richard Reush : op,cit,p.78.

4 - القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص135.

5 - الزنوط: ترجمت إلى التاج أو الإكليل الملكي، ويرجح أنها لباس الرأس التي يلبسها الملوك الأحباش السليمانيون، والزنط عبارة عن قلنسوة حمراء استعملت أول الأمر للطبقات الدنيا خاصة في مصر في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أصبح

شيوعًا بين الملوك، وكانت الدروع تستعمل للفرسان أكثر منها للرجالة، لأنها كانت تشغل الراجل وتعيق الرامي عن الحركة، وكانت هذه الدروع لها أسماء متعددة، وأخبرنا المقريزي أن أحد المماليك نقلها للحبشة، حيث أنشأ لهم زردخاناه[1]، حيث كان يوجد ثلاثة أنواع من الدروع استعملت في العصور الوسطى كان أغلبها قميص الزرد[2].

وكان الأحباش يستوردون ما يلزمهم من هذه الأقمشة الغالية المستخدمة في صناعة هذه الملابس من اليمن، وبخاصة الأردية والعمائم القطنية والبرود اليمنية، حيث كان اليمنيون يستوردون المواد الخام من الهند وينسجونها، ويصدرونها إلى شتى أنحاء العالم ومنها الحبشة[3].

وإضافة إلى ما سبق تجدر الإشارة إلى أن الفرسان الأحباش لم يعرفوا الدروع الحربية المصنوعة من الحديد أو الصلب والمستخدمة في وقاية الجسم، إلا أن جيوش الإمام أحمد بن إبراهيم عرفوها واستعملوها في حروبهم نتيجة اتصال ومساعدة الأتراك لهم[4].

وكان الفرسان المسلمون يفضلون العمامة على عصابة الرأس ويتخذون شالها من الحرير الأبيض مطرزة ببعض قطع الذهب الرفيع، كما كان الفارس الحبشي يتحلى بأقراط ذهبية أو فضية، أما في وقت السلم فكان يلبس عقود الذهب والجواهر حول عنقه ويتمنطق بحزام

طابعًا مميزا للزى العسكري الجركسي المملوكي، وللمزيد انظر. عرب فقيه، المصدر السابق، ص 228، محمود نديم: المرجع السابق، ص 46.

1 - الزردخانات: بيت الزرد أي بيت السلاح، وبها "من السيوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع... وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة، ويقيم فيها بعض الصناع لإصلاح العدد وتجديد المستعملات من الأسلحة". انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص11-12.

2 - محمود نديم: المرجع السابق، ص 50.

3 - الحيمي: المصدر السابق، ص 14.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 263. و قد ظل الفرسان الأحباش يحرصون على هذه الملابس طيلة العصور الوسطى حتى تولى العرش الإمبراطور هيلاسيلاسي في عام 1931م الذي حرص على أن يدخل النظام الحديث في جيشه بما في ذلك تطوير ملابس وأسلحة القتال.

عريض من الجلد أو الحرير الملون تزينه فصوص الجواهر الكريمة، كما كان الفارس يتجمل بالكحل ويسدل على كتفيه برنس من الحرير أو القطيفة له حافة مطرزة بالذهب والفضة[1]. وبالرغم من هذا الثراء في الملابس إلا أن الفارس الحبشي كان حافي القدمين: إذ لم يعرفوا النعال الصلبة إلا في العصور الوسطى، لكنهم عرفوا الخفاف البسيطة المصنوعة من جلد الماعز، ويبدو أن اتصالهم بالبرتغاليين هو الذي علمهم ذلك[2].

جـ- ملابس الخيول

وقد اهتم الأحباش أيضًا بملابس الخيول مثلما اهتموا بملابس الجنود، فكان الفرس يغطَّى من رأسه إلى نهاية كفله بقماش يكون غالبًا من القطن، ويلتف حول الحصان حزام عريض من الجلد كي يحافظ على بقاء هذا الغطاء، وينتهي هذا الغطاء بخيوط رفيعة تنسدل على جانبيه. أما رأس الفرس فتُغطى من الجانبين بغطاء يُزين من جانبي الفم بريش طويل من ريش النعام يرتفع إلى ما يوازى الأذنين[3].

أما السرج الذي يركب عليه الفارس فيتكون من سندان أحدهما من الأمام والآخر من الخلف تغطيه الأغطية الجميلة الثمينة التي تتكون من المرشحة والركاب، وقد صمم السرج لتأمين الراحة للفارس وتسهيل مهمة أدائه لواجبه الحربي[4]. ويصف عرب فقيه خيول الأحباش عندما استولى عليها المسلمون في معركة زري (أحد روافد نهر عواش) حين قال: "وغنم المسلمون في أرض دوارا، خمسمئة فرس كانت مكسوة بالجوخ الأحمر والقطيفة والحرير والديباج المذهب"[5]، وتبعًا للدرجات الاجتماعية فلم يكن كل الأحباش - خاصة المسلمين منهم -

---

1- الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة18،
- Richard Pankhurst: op,cit,p.76.

2 - زاهر رياض: المرجع السابق، ص 281.

3 - Francisco Alvarez: op, cit , p. 221.

4 - ابن هذيل: حلية الفرسان، ص78،عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص 33.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 131.

يضعون السروج على الخيل، كما منعهم الملوك السليمانيون من ركوبها إلا على متن ظهورها[1]. لذلك تفنن المسلمون في استعمال الخيول سواء ارتدت السروج أم لم ترتديها، "وكان عدد خيل الوزير عدلي[2] ثلاثة آلاف فرس لابسة وثلاثة آلاف بغير لبس"[3].

11- الأسلحة والمعدات

استخدم الجيش الحبشي الأسلحة القديمة والتي كانت مستخدمة في معظم دول إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الأخص في شرق إفريقيا خلال فترة العصور الوسطى. كما استخدم أيضًا بعض الأسلحة المستحدثة في ذلك الوقت نتيجة هجرة بعض الأقباط المصريين للحبشة في عهد الملك إسحاق بن داود (817-833هـ / 1414-1429م) أو التي أخذوها عن الدول المجاورة لهم[4]. وتشير المصادر والمراجع التاريخية التي عالجت هذه القضية إلى تعدد المعايير التي يمكن على أساسها تصنيف الأسلحة والمعدات الحربية التي استخدمها الجيش الحبشي. وفي هذا الصدد يمكن تصنيف أسلحة الجيش الحبشي وفقًا لوزن السلاح أو نوعه إلى أسلحة خفيفة وأخرى ثقيلة وثالثة للعرض والزينة، والتي كان يستعرضها الجيش في مواكبه الإمبراطوري والاحتفالات العامة. كما يمكن تصنيفها وفقًا لمعايير عدد الجنود مستخدمي السلاح إلى أسلحة فردية وأخرى جماعية، ووفقًا لنوع الضرر الذي يسببه السلاح يمكن تصنيف هذه الأسلحة إلى أسلحة قاطعة وأخرى خارقة (نافذة) وثالثة حارقة، كما يمكن تصنيف الأسلحة وفقًا لنوع التأثير على معنويات الجنود إلى أسلحة معنوية وأخرى مادية، على أن التصنيف الذي يمكن اعتباره الأكثر شيوعًا: ذلك الذي يصنف الأسلحة وفقًا

---

1 - المصدر السابق، ص 281.

2 - عدلي: كان صديقًا للإمام أحمد حيث نشأ معًا وأصبح كأخيه، وكان يلي الإمام في القيادة، ولقب بالوزير حيث لعب دورًا مهمًا في قيادة الجيوش، فتح مناطق عديدة في المملكة الحبشية المسيحية، قتل في إحدى مواقعه مع الأحباش المسيحيين، وقد تأثر الإمام والجيوش الإسلامية بذلك، وحزن عليه الإمام حزنًا شديدًا، واعتبر مقتله ضربه كبيرة له وخسارة للمسلمين، انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص168-332.

3 - عرب فقيه: نفس المصدر، ص 261-262.

4 - Francisco Alvarez: op, cit , p.317.

لمعايير الهدف من استخدامها إلى أسلحة دفاعية (وقائية) وأخرى هجومية. وفيما يلي عرض لأهم الأسلحة الحبشية التي ذاع استخدامها لدى الجيش الحبشي خلال المجال الزمني للدراسة، مصنفة تبعًا للتصنيف الأخير على اعتبار أنه الأكثر قبولًا.

أولًا: الأسلحة الهجومية:

1- السيف

السيف سلاح ذو حد يضرب به باليد، وهو أشهر الأسلحة وأنبلها منذ القدم[1] وهو من أشهر الأسلحة التي استخدمت في المعارك على مدى التاريخ، وهو السلاح الأول في المعركة، واسمه مشتق من الهلاك الذي يسببه[2].

وتنقسم السيوف إلى قسمين: السيف المستقيم، والسيف المقوس. وقد استخدم ابتداءً السيف المستقيم، فلم يتغير شكله حتى بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[3] والسيوف المستقيمة كانت إما ذات حد واحد أو حدين، واختلف أطرافها، فهي إما مدببة أو نصف مستديرة، وقد استغرق تحويل السيف من الاستقامة إلى التقوُّس عدة قرون[4].

---

1 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 16، عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، 1951م، ص 33.

2 - أطلق العرب على السيف من الأسماء والصفات ما يتجاوز المائة اسم ووضعوا له ولأجزائه من الأسماء ما يتجاوز الألف اسم. للمزيد مجهول: مجموع فن الفروسية، التساريح والتباطيل وهي رسالة في فنون الغزو والجهاد وآلات الحرب والرماية، مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم 7260، أباظة فروسية، ورقة12، نعمان ثابت، العسكرية في عهد العباسيين، مراجعة وتعليق حامد أحمد الورد، بغداد،1987م، ص 149-150.

3 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأسلحة الإسلامية، السيوف والدروع، معرض مقام في قاعة الفن الإسلامي، 1411هـ، ص 20.

4 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص 33، مركز الملك فيصل، الأسلحة الإسلامية، ص 21.

وتختلف أطوال السيوف، فسيوف الفرسان أقصر من سيوف الرجالة ويكون سيف الفارس قصيرًا ليأمن التلف والانقلاب، على عكس سيف الراجل الذي يكون طويلًا معلقًا تحت الإبط كما يفضل الفرسان السيوف ذات النصل المقوس[1].

وقد استخدم الأحباش السيف كما استخدمته الأمم الأخرى، واتخذوا منه الطويل والقصير، حيث يعتبر السيف أهم سلاح هجومي حبشي[2].

وقد استعمل الجيش الحبشي السيف القديم المستقيم وظل مستخدمًا حتى نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، لكن السيوف المقوسة الطرف بدأ استعمالها عن طريق شرائها من التجار المسلمين، كما شاع استخدام السيوف المصرية[3]عندما أدخلها أحد الأقباط المصريين في عهد الملك إسحاق 828هـ/ 1425م[4]، كما قام الملوك الأحباش بشرائها من القاهرة عن طريق التجار المسلمين[5]، ويذكر أن جيش المسلمين بقيادة الإمام أحمد قد استولى على الكثير من السيوف المصرية من الجيش الحبشي في معارك عديدة[6]، كما أكثر جيش الإمام من شراء هذه السيوف المصرية لاستخدامها في حروبه ضد الأحباش. يذكر أيضًا أن السيوف استخدمت في تأمين القوافل التجارية

---

1 - ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي): حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1369هـ-1949م، ص 24.

2 - Francisco Alvarez: op, cit ,p.325.

3 - السيوف المصرية منها ما صنع في مصر وتمتاز بطولها واستواء سطحها، وعمومًا كان السيف المصري ذا نصل مستقيم وقصير ولا يزيد طوله على 3 أقدام، وله حدان وطرفه مدبب يستخدم كالخنجر، وكانت قبضته بسيطة ومقعرة الجانبين لسهولة القبض عليه، وترصع أحيانًا بالأحجار النفيسة أو المعادن القيمة. للمزيد. انظر عبد الرحمن زكي: السيف في العالم الإسلامي، ص 34 وحاشية رقم (2) بنفس الصفحة.

4- القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2، ص132، 133، عرب فقيه، المصدر السابق، ص32- 48- 50.

5 - Francisco Alvarez: op. cit., p. 307.

6 - عرب فقيه: المصدر السابق ص139.

من خطر عصابات الشفتا[1]، ولحماية المسافرين بين المقاطعات المختلفة، كما استخدمها تجار الرقيق لاصطياد ضحاياهم[2]. وقد استمر استخدام السيف كسلاح رئيس في الجيش إذ بدأ يضعف استخدامه نتيجة ظهور الأسلحة الجديدة[3].

وكان السيف يوضع في جراب من المعدن ويغلف بالجلد، وهو مسنون من الناحية الخارجية، وللسيف حمائل وهي علائق السيف التي توضع على عاتقه، وهي من الجلد أيضًا[4].

2- الحربة

الحربة هي سن يبلغ طولها ثلاثين سنتيمترًا من الحديد مدببة من أعلاها وتتسع كلما اتجهنا نحو القاعدة، وُتركب الحربة في أعلى عصا أسطوانية رفيعة يصل طولها إلى حوالي المترين وقد يكون الجزء الأدنى منها خطاطيف ملتوية بعضها إلى أعلى وبعضها إلى أسفل لتعلق بها قطع من القماش دلالة على استخدامها لقتل الأعداء[5].

وتعد الحربة من أهم الأسلحة الحبشية الهجومية والتي ينظر إليها باعتبارها أشرف أسلحة القتال، وذلك لأنها تعتبر واحدة من أقدم الأسلحة التي عرفتها الدول بصفة عامة، والدولة الحبشية على وجه الخصوص. وقد أقدم الأحباش على استخدام الحراب في المقاطعات المختلفة خلال حروبهم المتعددة[6] حيث غلب سلاح الحراب على باقي الأسلحة المستخدمة في الحروب الحبشية إلى الحد الذي يمكن معه

---

1 - لمعرفة المزيد عن هذه العصابات انظر الفصل الثاني من هذا البحث ص 129

2 - Francisco Alvarez: op.cit., p. 190.

3 - Taddesse Tamrat:: op.cit., pp. 89-90.

4 - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 23 جزء، القاهرة، الطبعة الأولى، 1973م، جـ6، ص 202، ابن هذيل: حلية الفرسان، ص193.

5- مجهول: مجموع فن الفروسية، التساريح والتباطيل وهي رسالة في فنون الغزو والجهاد وآلات الحرب والرماية، ورقة17.

6 - Budge: op, cit , P. 302.

القول إن معظم الجنود الأحباش كانوا يفضلون أن يكونوا من حملة الحراب. وقد أكدت بعض المصادر التاريخية المتاحة غلبة هذا السلاح على غيره من الأسلحة الأخرى[1]. حيث ذكر العمري في هذا الصدد: "وأكثر قتال هذه المملكة (الحبشية) بالحراب"[2]، كما أكد المقريزي ذلك بقوله: "إنما سلاحهم الحراب يرمون بها"[3]، كما استخدم الأحباش الحراب أيضًا في بعض المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية حيث كان يضاف إليها سنون من الذهب[4].

3- الرمح

الرمح عبارة عن عود طويل في رأسه حربة يطعن بها، وهو يشبه الحربة إلا أن عصاه أقصر نسبيًّا لا يزيد طولها عن المتر، وليس له خطاطيف، وهو يلقى على العدو من بعيد. والرماح نوعان، نوع طويل يستخدمه الفرسان وآخر قصير يستعمله عادةً المشاة[5]، حيث يختلف طول الرمح ما بين خمسة إلى سبعة أذرع وقد يصل إلى عشرة أذرع[6]. لكن كلا النوعين يستخدمان إما للطعن أو للرمي عن بعد، وقد قيل إن الرمح من الفروسية كالرأس على البدن[7].

---

1 - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ميكروفيلم مصور بمعهد المخطوطات العربية رقم من 11-16 فنون حربية، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 83 فروسية تيمورية، ورقة 12.

2 - مسالك الأبصار، ص40.

3 - الإلمام، ص4.

4 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 31.

5 - يطلق على الرمح الطويل لفظ "الشطاط"، بينما يطلق على الرمح القصير لفظ "النيازك". ومن أهم أجزاء الرمح المتن والكعوب والعالية والسنان والثعلبة والظبة، للمزيد عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، الطبعة الأولى،1961م، ص 143.

6 - ذكرت الرماح في القرآن بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ" سورة المائدة آية 94.

7 - علاء الدين طبيغا: بغية الرامي وغاية المرامي (في الرمي بالقوس والنشاب والبندقية) ميكروفيلم مصور رقم 5 فنون حربية، معهد المخطوطات العربية، ص 46،محمود نديم: الفن الحربي، ص40.

والرماح من الأسلحة الهجومية المهمة[1] التي استخدمها الجيش الحبشي في معاركه المتعددة[2]، وكان الجنود الحبشيون يستخدمون الرماح وهم راجلون كما كانوا يستخدمونها على ظهور الجياد، وكانوا يحملون الرماح على عدة طرق منها الحمل على ركاب الفرس والساق، أو حملها مستعرضة على ظهور الخيل أمام الفارس[3]، أو على عواتق الرجال، كما عمد البعض إلى جر الرماح على الأرض[4].

4- العنزة

هي نصف طول الرمح وتشبهه شكلًا، ولكن عصاتها قصيرة ورفيعة وتستخدم للطعن فقط[5] ولها جراب توضع فيه يتصل بالحزام مباشرة، وهذا السلاح تفضله الجماعات غير النظامية في الجيش الحبشي[6].

5- السكين

استخدم الأحباش السكين في معاركهم الحربية[7] وهو سلاح بسيط له نصل مستقيم لا يتعدى طوله العشرين سنتيمترًا وتوضع في داخل جراب يوضع إلى اليسار فيما بين الحزام الجلدي والصدر[8].

---

1 - محمد عبد الفتاح إبراهيم: المذاهب العسكرية التي شكلت تاريخ العالم، إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة، مطبعة التحرير، يوليو 1968، ص80.

2 - ياقوت الحموي، المصدر السابق، جـ2، ص279، وقد أرجعها الحموي إلى قرية يقال لها: سمهر بالحبشة وسماها الرماح السمهرية. انظر الشكل رقم (13) في الجزء الثاني من الكتاب.

-Taddesse Tamrat: op, cit , p. 91.

3 - جلال الدين السيوطي: السماح في أخبار الرماح، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية،رقم23، فنون حربية، تحقيق فوزي حمودي القيسي، مجلة المورد، م12، العدد2، بغداد، 1404هـ/1983م.ورقة 4.

4 - نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب: الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق عيد ضيف العبادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1404هـ/1984م،موجود بدير الدومينكان (25-1/785-9)، ص17.

5 - ابن هذيل: حلية الفرسان ص213.

6 - السيد فؤاد شكر الله: المرجع السابق، ص 31.

7 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص17 ويذكر أن أحد البطارقة الأحباش أنقذ نفسه من الموت عند مبازة صبي مسلم بهذا السكين "فأخرج البطريق سكينًا كانت معه فطعن بها الصبي". انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص 83.

8 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية، ص283.

6- النفط

وهو سلاح حديث العهد نسبيًا ويعتبر أشد فتكًا من الأسلحة السابقة. وقد عرفه الأحباش عن طريق أحد أمراء المماليك المصريين وهو الأمير الطنبغا مغرق حاكم قوص[1] في عهد السلطان المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي (815- 824هـ/1412-1421م)، حيث قام هذا الأمير بتدريب الأحباش على استخدام النفط[2].

والنفط عبارة عن كرات كبيرة من القماش مشتعلة تغمس في البترول[3] لذلك عرفها الأحباش بالنفط[4] إلا أنها لم تكن شائعة الاستخدام لحاجتها إلى ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق[5] ويقذف النفط والمواد الحارقة على الأعداء سواء بواسطة الآلات أو بواسطة اليد، فإذا كانت المسافة بينهم وبين الأهداف بعيدة كانوا يستخدمون المنجنيق[6]، أما إذا كانت هذه المسافة قريبة فكانوا يرمون النفط باليد[7].

---

1 - وهو أحد مماليك الأمير بزلار نائب الشام، استطاع بكفاءته أن يرتقي في المناصب حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد انظر المقريزى، السلوك، ج3،ص340.

2 - وقد عرف هذا السلاح باسم النار الإغريقية. انظر المقريزي، الإلمام ص4، سعيد عاشور، بعض أضواء جديدة، ص32.

3 - Paul B. Henze: op, cit ,p. 68.

4 - L Dudley stamp: op, cit ,p. 358.

5- Richard Pankhurst: The Ethiopians, p.72.

6 - المنجنيق: هو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي تحمل الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرفع عموده الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئًا إلا أهلكه، والمنجنيق له أنواع وأحجام متعددة، ويرمى به الحجارة والنفط وغيرها، ويشبه المنجنيق المدفعية الميدانية الثقيلة في عصرنا الحاضر. انظر: ابن أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المجانيق، مخطوطة مصورة علي ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 4/ فنون حربية، تحقيق إحسان هندي، منشورات جامعة حلب، 1405هـ، 1985م، ورقة 8، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 2، ص 152.

7 - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، ص59.

7- البنادق والمدافع

تعد البنادق والمدافع من الأسلحة الهجومية التي عرفها الأحباش خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وذلك نتيجة لاتصالهم بالأتراك الذين مدوا مسلمي الزيلع بتلك الأسلحة والبرتغاليون الذين مدوا نصارى الحبشة بهذه الأسلحة أيضًا، لذلك زود الملك الحبشي بعض الفرق في جيشه الجديد بالبنادق الحديثة والبارود الذي صنع محليًّا[1] وتم تدريبهم على استعمال هذه الأسلحة بواسطة البرتغاليين[2].

ويبدو أن استعمال الأحباش للبنادق كان ضعيفًا، فقد ظلوا يفزعون من سماع أصواتها.. "كانوا يعجبون من رمي البندق غاية العجب... وهم يعتقدون أن صاحب البندقية إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تحلل، ونحن من هذا التوهم توهمهم صدقة"[3].

ولقد كانت البنادق والمدافع تصل إلى الحبشة عن طريق القوى البحرية البرتغالية عبر مياه خليج عدن، حيث تحالفت القوتان الحبشية والبرتغالية للقضاء على القوى الإسلامية العربية المسيطرة على تجارة شرق إفريقيا والبحر الأحمر وتجارة الهند بصفة عامة[4]، وهو ما يؤكده النص الحبشي[5].

---

1 - Jones and Monroe: op , cit , pp.81-84.

2 - إبراهيم محمد حسن: الإمام أحمد بن إبراهيم الصومالي وفتوح الحبشة، رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، 1972، ص190.

3 - الحيمي: سيرة الحبشة، ص 85.

4 - حمدي السيد سالم: المرجع السابق، ص 397.

5 - قدم من البحر أبناء توبال من يافت (يقصد بهم البرتغاليين) وقد أعانوا الكنيسة على قتال المسلمين واستهلوا النصر. للمزيد انظر W. Conzelman: op, cit ,p.12. ، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 17-18.

ولم يقتصر دور البرتغاليين على إمدادهم بالأسلحة بل ومساعدتهم بجنود فنيين متخصصين بلغ عددهم أربعمائة وخمسين جنديًّا مسلحين بالبنادق والمدافع بقيادة كرستوفر دي جاما[1]، كما قام جزء من هؤلاء الجنود بتعليم الأحباش كيفية استعمال هذه الأسلحة[2].

وقد أمد الأتراك العثمانيون المسلمين بهذه النوعية من الأسلحة[3]، حيث كان "يضرب لهم بها رجلان من العرب المسلمين على المسيحيين، أحدهم يسمى حسن البصري، والآخر عبد أصفر تركي، كما اشترى الأمام أحمد من الزيلع مدفعًا واحدًا كبيرًا نحاسيًّا واثنين صغيرين حديديين". وعلمهم على استخدامها مهتاران حاضران معه فإنهم كانوا جنودًا، فأعطاهم الإمام مئة أوقية ذهبًا، حيث أرجعوها إلى نوع من السحر"[4].

كما كان لتدريب الضباط الأتراك الذين حضروا مع هذه الأسلحة لقواد الإمام أحمد أثره الكبير في الانتصارات التي أحرزوها فيما بعد، فقد أخذت جيوش الإمام تكتسح البلاد دون توقف[5].

ثانيًا: الأسلحة الدفاعية:-

1- الأقواس والسهام

القوس من أقدم أسلحة القتال وهو قضيب من الخشب شد طرفاه بخيط أقصر من القضيب فيقوسه، وتستخدم في القوس السهام لإطلاقها، وتسمى أيضًا النبال والنشاب، وهو عمود من شجر صلب يقارب طول الذراع، ويركب في قمته نصل من حديد مدبب، له سنان في

1 - الحيمي: سيرة الحبشة، ص 85-86.

2- Mordechai Abir: op, cit , p. 99.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، صفحات 137/152/310/311.

4 – نفس المصدر، ص315-316.

5 - عرب فقيه: نفسه، ص160،الحيمي ص 33.

عكس اتجاهه ليصبح إخراجه صعبًا إذا نشب في الجسم[1] وأحسن الأقواس ما يصنع من الخشب المرن القوي أو الحديد[2]. ولذلك يعد القوس من خير الأسلحة "لاجتماع عدة خصال فيها أهمها سرعة الرمي وخفة الحمل وقوة الفصل"[3].

وتحتاج السهام إلى الكنانة لحفظها وحملها وتسمى الجعبة، والكنانة هي الوعاء الذي يحمل فيه المقاتل سهامه، وهي تصنع من الجلد أو جسم خشبي مغلف بالجلد. وهناك الجفير ويستخدم لحمل السهام أيضًا، ويصنع من الجلد وهو أكثر أتساعا من الكنانة[4]. ولقد كانت عملية صيانة السهام تتم بواسطة الحجارة وخاصة بعد وضع النصل على النار[5].

ومن أنواع القوس والتي استخدمها كل من الجيش الحبشي والإسلامي ما يسمى "القسي". وهى عدة أنواع؛ منها القسي العربية، والقسي الفارسية، والقسي التركية، وهي تطلق سهامًا صغيرة وسريعة، باستعمال أنبوب مجوف تطلق السهام الصغيرة والمتعددة من داخله والتي لا يقل عددها عن خمسة تخرج دفعة واحدة[6].

---

1 - مجهول: الفروسية برسم الجهاد، وما أعد الله للمجاهدين من العباد، ورقة 15-16،عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص33،47.

2 - الأشرافي: بغية الرامي وغاية المرامي، ورقة 63، جهادية العزة غولي: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ، دائرة الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد،1986م، ص186.

3 - ومن أهم أجزاء القوس البدن والمقبض والسية والقاب والوتر والغرضة. انظر: عبد الرحمن الطبري، الواضح في الرمي والنشاب، مكتبة الأزهر، مخطوطة تحمل رقم 7275، ورقة 26،28.

4 - النويري: نهاية الأرب، جـ6، ص235، عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص91.

5 - من أهم أجزاء السهم- القدح، النصل، سنخ النصل، العقب، الشريحة، الريش. انظر مجهول: مجموع فن الفروسية، ص38، عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص139.

6 - محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، دمشق، الطبعة الأولى، 1986، ص287 – 288، الطرابلسي، تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة 18.

وتتخذ القسي من عدة أنواع من الشجر أهمها شجر النبع والشواحط[1]، والسدر والضال والشريان والتين والعجرام والرمان، والسفرجل... وغيرها[2]، وأجود الخشب ما اجتمعت فيه الصلابة والخفة ورقة البشرة، وكلما ازداد لين القوس ومرونته كان أدق وأبعد رميًا، لذلك تترك بعد قطعها في الظل لتشرب ماء اللحاء[3].

ولقد كان حملة القوس من الجنود الأحباش هم أول من يبدأ المعركة في الهجوم والدفاع على حد سواء، وكان عدد هؤلاء الجنود الأحباش الذين يستخدمون الأقواس كبيرًا في الجيش الحبشي خاصة في عهد عمدا صيون، حيث كان جيشه به مشاة يحملون الأقواس والسهام[4]. وقد أكد العمري وغيره من المؤرخين على كثرة استخدام الأحباش لهذا السلاح، ومنهم الرماة بالنشاب[5]، كما ذكر في موضع آخر: "وسلاح المقاتلين منهم القسي والنبال الشبيهة بالنشاب"[6]. وقد قيل إن النشاب هي القوس الأعجمية أما النبال فهي سهام القوس العربية التي تسمى نبلًا[7].

2- الدرع

يعد الدرع من أهم الأسلحة الدفاعية وعُرف منذ العصور القديمة، وهو لباس حامٍ يرتديه المقاتلون للوقاية من الأسلحة في المعارك والاشتباكات العسكرية، ولم يكن الدرع الحبشي يغطي جسم الفارس مثل الدرع الأوروبي. وكان هذا الدرع الحبشي مصنوعًا من أربع طبقات

---

1 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33.

2 - ابن هذيل: حلية الفرسان، ص214.

3 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص33.

4- Taddesse Tamrat: op, cit , p. 92.

5 - العمري: المصدر السابق، ص40، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص318.

6 - العمري: المصدر السابق، ص47.

7 - مؤلف مجهول: السيف والرمي (أسلحة المجاهدين)، تحقيق عيد ضيف العبادي، مجلة المورد، المجلد 12، العدد 4، بغداد،1404هـ/ 1983م، ص38.

من جلد الجاموس السميك أو من الحديد[1] أو طبقتين من جلود الفيلة، وتضم هذه الطبقات إلى بعضها بمسامير صغيرة تدور حول حافته الخارجية[2]. وأحيانًا يكون للدرع حافة من المعدن تساعد على تثبيت الطبقات مع بعضها ثم تدور حول مركز الدرع حلقات من الشرائط المعدنية المثبتة بمسامير. وفي باطن الدرع في الوسط مقبض من الجلد السميك يمسك به الفارس فتكون وقاية ليده اليسرى التي تتحرك بسهولة لحماية صدره[3]. ولبعض الدروع مقبضان بدلًا من واحد يدخل الذراع الأيسر في الأول إلى ما قبل الكوع ثم تقبض على الآخر. وكانت بعض الدروع مخروطية الشكل يرتفع مركزها عن بقية سطح الدرع وتغطى هذه القمة بطبقة من المعدن ثم تدور الأشرطة المعدنية المثبتة بالمسامير حول هذه القمة حتى تنتهى بالحافة الخارجية[4].

3- التروس

وهو سلاح دفاعي من الحديد أو الخشب أو الجلد يستخدمه المقاتل لوقاية نفسه من ضربات السيوف والرماح والسهام[5]، وقد تعددت أنواع التروس، فمنها المسطح لاتقاء طعنات الرمح، والمستطيل ويتقى به النشاب، والمقيب ويتقى به السيف[6]، ومنها المستدير لتنزلق عليه

---

1 - ويؤكد النص الحبشي ذلك. انظر: W. Conzelman: op, cit ,p.19.
منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 41.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , pp. 92-93.

3 - عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص137.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص66-67-73-85-139.

5 - ومن أسماء الترس الجحفة والدرقة والمجن والفرض والصلب والترس العربي مستدير الشكل، إبن هذيل، حلية الفرسان،ص24.

6 - مؤلف مجهول: خزانة السلاح دراسة عن خزانة السلاح ومحتوياتها في عصر الأيوبيين والمماليك، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م، ص56.

الرماح[1]، ويمكن استخدام أي منها لصد أي ضربة من الضربات بأي سلاح عند الضرورة[2]. وللترس علاقة يحمل بها في حالة عدم الاستعمال، أما في حالة الاستعمال فله عروة من الداخل يدخل المقاتل ذراعه فيها إلى المرفق، ويستعمل الترس عادة باليد اليسرى[3].

وتؤكد بعض المصادر التاريخية استخدام الجيش الحبشي للتروس في حروبه مع المسلمين في المعارك المختلفة خاصة في معركة صمبر كوري عام 935هـ/ 1529م[4].

4- الأسلحة الخفيفة

هناك بعض الأسلحة الخفيفة، والتي استخدمها كل من الجيش الإسلامى والجيش الحبشي[5]، ومنها الخنجر[6]، ومنها الطويل، ومنها القصير الذي يجعل تحت الثياب. يذكر أن الخنجر استمر استخدامه بصورة فعالة حتى في العصور الحديثة في الحبشة، فقد حارب الإمبراطور جلاوديوس قبائل الجالا واستطاع الانتصار عليهم بواسطة هذه الخناجر[7]. ومن هذه الأسلحة أيضًا العمود ويضرب به على الرأس والبدن، وتذكر المصادر الحبشية أن استخدام الخنجر ظل سائدًا في الحبشة حتى بعد أن شاع استخدام الأسلحة الحديثة من البنادق

---

1 - عبد الرحمن زكي: السلاح في الإسلام، ص16.

2 - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، ورقة 19.

3 - محمود أحمد سليمان عواد: الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى،1407هـ-1987م، ص 392.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص63 وللمزيد عن تفاصيل هذه المعركة انظر الفصل الثالث من هذا البحث.

5 - كرم الصاوي: المرجع السابق، ص20.

6 - الخنجر: عبارة عن سلاح صغير يحمله المحارب ليطعن به عدوه.

7 - Mordechai Abir: op, cit, pp85-92.

والمدافع[1]، [2]

ሓረ ፡ ንጉሥ ፡ ገላውዲዎስ[1] ፡
ጎበ ፡ ትዕይንተ ፡ ጋላ ፡ ወፀብአሙ ፡ ወአጎለቆሙ ፡
በመጥባሕት ። ወለአለ ፡ ተርፉ ፡ ረሰዮሙ ፡ ክመ ፡ አግ
ብርት ፡ ዘትጎጉት ፡ ሥልጣኑ ።
ምድር ፡ እም ኮነ ፡ ጋላ ፡

ومن الأسلحة الخفيفة الدبوس وجمعه دبابيس[3] وهي عصا من الحديد لها رأس حديدية متوسطة ذات أضلاع ويضرب به مثل العمود، والمقلاع هو عبارة عن كفة من الجلد أو القماش[4]، إما بيضاوية أو مستديرة لها طرفان في الأول، أو ثلاثة في الثانية[5].

---

1 - "في ذلك الزمن، أقصى الملك العادل -أبو صاحب هذا التاريخ- عن عرشه، من أبناء ذلك الملك العادل من مات بالخنجر ومنهم من أسر ثم عاد" انظر W. Conzelman: op, cit, p.5.

، منال عبد الفتاح محمود عبد الله: المرجع السابق، ص 8.

2 - "ذهب الملك جلاوديوس إلى معسكر الجالا وحاربهم وأهلكهم بالخناجر". انظر W. Conzelman: op, cit ,p.53.

3 - الأشرافي: بغية الرامي وغاية المرامي، ص 48 الدبوس: آلة من الآلات الحرب في العصور الوسطى تشبه الإبرة. وكانت تصنع من عود طوله نحو قدمين من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من الحديد قطرها ثلاث بوصات تقريبًا. انظر عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص155، سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1976م،ص 422.

4 - عرب فقيه: المرجع السابق ص203.

5 - ابن أرنبغا: الأنيق في المنجانيق، ص37-38.

وإضافة إلى ما سبق يمكن الإشارة إلى بعض وسائل الحرب المهمة المتمثلة في بعض الحيوانات المستخدمة أثناء الحرب والعدة التي تحتاجها هذه الحيوانات لتجهيزها للحرب. أما أهم هذه الحيوانات المستخدمة خلال تلك الفترة فهي الخيل والتي تعتبر سلاح رئيس للفرسان الأحباش ومن أهم عدة الخيل اللجام والسروج والحدوة[1]، وكذلك البغال والتي تستخدم لنقل الجنود والكراع[2]، وكذا الإبل والتي كان لها دور مهم كذلك أثناء الحرب.

ثالثًا: الأسلحة المعنوية

وهي أسلحة استخدمها كل من المسلمين والمسيحيين في بلاد الحبشة، ومن أهم الأسلحة المعنوية التي استخدمها المسلمون القرآن الكريم، سلاح الإيمان، وهو أهم سلاح. لذلك كان ملوك المسلمين لا يخرجون للقتال إلا ومعهم المشايخ والفقهاء ورجال الدين، ليشدوا أزرهم على الثبات والاستشهاد في سبيل الله دفاعًا عن العقيدة وعن بلاد الإسلام. ورأس السلاح في الحرب عند المسلمين تقوى الله وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه واللجوء إليه، وسؤاله التأييد والنصر والظفر"[3]. كما كان يصاحب الجيش الحبشي المسيحي أيضًا عدد كبير من رجال الدين من الرهبان والبطارقة والقساوسة لحث الجنود على قتال المسلمين ويبثون فيهم روح الشجاعة ويعرفونهم بأنهم يدافعون عن دين الآباء والأجداد، فكانوا بذلك يخلعون على القتال صبغة الحروب الصليبية[4]، ولذلك كان المسلمون يحرصون على قتلهم بمجرد

1 - محمود عواد: الجيش والقتال، ص 429-432.

2 - عرب فقيه: المرجع السابق ص83،78، والكراع تعني ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص 449.

3 - الهرثي: مختصر سياسة الحروب، ورقة 3.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 150-152.

وقوعهم أسرى في أيديهم لأن جمهرة المسيحيين الأحباش كانوا يتأثرون بأقوالهم وبتحريضهم على قتال المسلمين[1].

من خلال العرض السابق يمكن إجمال الاستخدامات المختلفة للأسلحة، وذلك وفقًا لما ذكره النص الحبشي في عهد جلاوديوس[2].

وعلاوة على ذلك فقد أشارت بعض المراجع إلى مدى تقسيم هذه الأسلحة على الجيش "الفرسان لابسي الدرع الحديدي، ...، مشاة من حاملي السيوف، ...، مشاة من حاملي الحربة، مشاة مجهزين بمنجنيق، مشاة من رماة السهام، مشاة مجهزين بحاملة السهام"[3].

ويتضح من ذلك أن هذه الأسلحة لم تكن على نفس الدرجة من الانتشار بالنسبة لاستخدامات الجيش الحبشي، فقد استعمل بشكل رئيس الأقواس والسيوف والرماح والدروع والحراب، كما استخدمت جيوش المقاطعات المختلفة الأسهم على نطاق واسع، في حين استخدمت باقي الأسلحة على نطاق أضيق تحت ظروف محددة[4].

رابعًا- الصناعات الحربية

أما عن المصادر التي كان يتم من خلالها توفير الأسلحة سالفة الذكر، فهي متعددة ولكن يمكن القول أن أهم هذه المصادر هو قيام بعض القبائل الحبشية بتصنيع بعض أنواع الأسلحة وخاصة السيوف

---

1 - المصدر السابق، ص 152، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص 129.

2 - "كان هناك عدد لا يحصى ممن يحملون السهام ويضربون بها وكذلك يوجد مئات الآلاف من المشاة حاملي السيوف والرماح والترس والرجال الذين يستطيعون الضرب بالمنجنيق... وكان هناك خمسمئة من رماة القوس". للمزيد انظر:

- W. Conzelman: op, cit ,p.84.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 34.

3 - W. Conzelman: op, cit ,p.16.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 30.

4 - W. Conzelman: op, cit ,p.16.

، منال عبد الفتاح محمود: المرجع السابق، ص 30.

والرماح والدروع والسهام المسمومة، فضلًا عن قيام بعض صناع الأسلحة من العرب بتصنيع الخناجر الحبشية[1].

ولما كان تصنيع الأسلحة محليًا من خلال القبائل الحبشية وصناع الأسلحة العرب لا يكفي لمتطلبات الحروب المتكررة، خاصة بين المسلمين والنصارى، لذلك فقد لجأ الملوك الأحباش إلى توفير مصدر آخر لإمداد الجيش بالسلاح ألا وهو استيراد هذه الأسلحة من الخارج من خلال الاعتماد على التجار المسلمين[2]. وفي هذا الصدد تشير بعض المراجع إلى انتهاز الملك إسحاق مجيء أحد المماليك الجراكسة (والذي كان يعمل بوظيفة زردكاش بديار مصر)[3]، حيث كلفه بعمل زردخانات عظيمة تشتمل على كافة أنواع الأسلحة من السيوف والرماح وغيرهم. كما قامت صناعات اشتغل بها بعض السكان مثل صناعة السلال والحقائب من الجلد والقماش كما احترف البعض الحدادة وسباكة المعادن وصناعة السيوف والحراب والدروع وتطريز الملابس بخيوط الذهب وتزيينها بلبد الأسد، كما عمل البعض بصناعة الذهب والمجوهرات النفيسة لاستخدمها في ملابس وأجساد النبلاء[4]، ولكنها كانت غالية الثمن لقلة عدد الصناع[5].

12- ظهور البارود واستخدامه في الحروب

أ- ظهور البارود

يعتبر البارود من الاكتشافات[6] التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني نظرًا لما أحدثه من آثار كبيرة عبر الحضارات الإنسانية المختلفة، وهو

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 105، يوسف أحمد، المرجع السابق، ص32-33.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , p. 259.

3 - الزردكاش: هو الصانع الذي يعمل في صنع السلاح وإصلاحه وتجديده. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص12.

4 - Budge: op, cit, p. 288.

5 - Paul B. Henze: op. cit., p. 64.

6 - يصح في رأينا استخدام تعبير "اختراع البارود" على أساس أنه اختراع لتركيبته الكيميائية الخاصة، كما يصح استخدام تعبير "اكتشاف البارود" على أساس أن المواد التي تدخل في تركيبته موجودة جميعًا في الطبيعة.

يعتبر شأنه في ذلك شأن معظم الأسلحة الأخرى من الاكتشافات ذات الاستخدام المزدوج. فبينما يمكن استخدامه في الأغراض الحربية والتدميرية فإنه أيضًا له استخدامات أخرى في الأغراض السلمية. فقد استخدم هذا السلاح استخدامًا تدميريًّا في الحروب والمعارك المختلفة والثورات الأهلية عبر التاريخ الإنساني، كما استخدام أيضًا في مجالات سلمية كما هو الحال في استخداماته الصناعية والإنشائية المتعددة[1].

ولقد ذهب كثير من المؤرخين والباحثين إلى أن أول اكتشاف للبارود قد تم في الصين، وانتقل بعد ذلك إلى العرب المسلمين زمن الخليفة هارون الرشيد الذي وعد بعض الأسرى الصينيين لديه عام183هـ/ 800م بإطلاق سراحهم بشرط الكشف عن سر صناعة البارود والبوصلة، حيث قام هؤلاء الأسرى بذلك في مقابل إطلاق سراحهم[2]. كما وجدت مصادر أخرى تؤكد سبق العرب لاكتشاف البارود، حيث عمدت هذه المصادر إلى دراسة المخطوطات العربية التي كتبها علماء أسهموا في الكشف عن مادة البارود[3]، حيث تبين أن العربي نجم الدين حسن الرماح الأحدب (ت695هـ/ 1295م) قد وصف التركيب الكيميائي للبارود محددًا النسب الدقيقة لعناصره المختلفة[4]. كما تبين أيضًا أن

---

1 - رغد الرفاعي: البارود والبندقية، السلاح الناري الأول، مجلة الدفاع الخليجي، العدد الثاني، يناير 1993، ص49-50.

2 - صلاح حسين العبيدي: أنواع الأسلحة العربية والإسلامية وأوصالها، الجزء الرابع، دار الحرية، بغداد، 1988، ص152، عبد الرحمن زكي: العرب والكشف عن البارود، المجمع المصري للثقافة العلمية، الكتاب السنوي الثالث والأربعون، 1973، ص86

3 - عبد الرحمن زكي: ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية في ضوء ما كتبه في كتاب بدائع الزهور، ص104-105.

4 - الرماح: الفروسية والمناصب الحربية، ولقد تكلم المؤلف عن التركيب الكيميائي للبارود محددًا النسب الدقيقة لعناصره، وكأنه سلاح معروف في مصر منذ زمن مبكر، فيذكر تركيبه من الملح والكبريت المسحوق، ورماد الفحم والبرادة والنشادر- والزرنيخ الأحمر والتيلة الزرقاء والقنابل، واللهب بينهما، وأن البارود يوضع في طاجن، وأوضح كيفية الحرب به، وكذلك تكلم الرماح عن الصواريخ، ويرى أنها من البارود وذكر القنبلة وكيفية عمل ذخيرة لها، وأنها لا تستعمل إلا إذا جاءتها النار، وقد اعترف مؤرخو العلوم الغربيون عند اكتشافهم لهذا الكتاب بفضل العرب في اختراع الأسلحة النارية. كما أورد ابن أرنبغا الزردكاش في كتابه "الأنيق في المجانيق" عن تركيبات الذخيرة مع العلم بأنه

مخطوطة "التعريف بالمصطلح الشريف" لابن فضل الله العمري قد قدمت دليلًا جديدًا على وصول العرب إلى اكتشاف البارود قبل غيرهم[1].

ب- استخدامات البارود

سبقت الإشارة إلى احتمال ظهور البارود في الصين قبل غيرها من الأمم، إلا أن الصينيين لم يستخدموا البارود في الأغراض الحربية. بل اقتصر استخدامهم له في الأسهم والألعاب النارية التي كانوا يطلقونها احتفالًا بالمواسم والأعياد المختلفة[2]. ويذكر أن استخدام البارود في الأسلحة النارية لم يتم إلا عند اكتشاف أن احتراقه في حيز محصور يولد ضغطًا عاليًا في فترة وجيزة من الزمن، وهو الأمر الذي لم يتم اكتشافه إلا لاحقًا[3]. أما عن استخدام العرب المسلمين للبارود كسلاح حربي، فقد تم ذلك خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عبر المنجنيقات، ثم طوروا له أنابيب أطلقوا عليها في البداية "صناديق المخاسفة" والتي يتم إطلاقها بواسطة منجنيقات ذات مواصفات خاصة، وقد اعتبر البعض هذه الأنابيب هي بداية ظهور المدافع المستخدمة حاليًا. ويذكر أن العرب لم يطلقوا على هذه المادة المتفجرة اسم البارود، وإنما سموها باسم "الحجر الناري" أو "زيت الحجر" أو "النفط"[4]. هكذا يمكن القول أن العرب هم أول من طور استخدامات البارود وكذلك الأسلحة الجماعية (المدفعية) والفردية اللازمة

أسماها المنجنيق ونسبها إلى سلاح النفط- وكان يقصد البارود حيث أن تركيب الذخيرة الذي أورده مؤلفه يطابق تمامًا تركيب سلاح البارود.

1 - صلاح حسين العبيدي: المرجع السابق، ص 155-156.

2 - رغد الرفاعي: المرجع السابق، ص51.

3 - زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان، عمان، 1983، ص245.

4 - جرجي زيدان: المرجع السابق،جـ4، ص202.

لاستخدامه[1]. حيث وجد ما يؤكد قيام العرب المسلمين بتطوير جميع أشكال الأسلحة المستخدمة في قذف النفط والكرات النارية[2]، وليس أدل على ذلك من شهادة الفارس الفرنسي جوإنفيل JoinVille الذي شهد معركة المنصورة 1250/1249م بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع[3].

ولعل استخدام العرب المسلمين للبارود وتفوقهم في تطوير ذلك السلاح قد جاء كرد فعل طبيعي لمهاراتهم في استخدام النار الإغريقية[4] والتي عرفوها قبل استخدام البارود، فقد توافر سلاح النار الإغريقية في بلاد المسلمين، واستعمله المماليك في مصر في معظم معاركهم الحربية،

---

1 - ثبت تطور استخدام هذا السلاح في الأندلس بمملكة غرناطة وفي المغرب الأقصى تطورًا عظيمًا، وهناك من المخطوطات ما يؤكد استخدام الأندلسيين للمدفعية منذ أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، في حين نجد رواية "ابن خلدون" عن استخدام العرب المسلمين لهذا السلاح في معركة سجلماسة في المغرب الأقصى عام 772هـ/1273م،عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964م، ص172-173، سهيل زكار: المدفعية عند العرب في أوائل القرن السابع عشر، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 49، السنة الخامسة، 1403هـ / 1982م، ص6، ابن خلدون، المرجع السابق، جـ7، ص388 وقارن ذلك بما ورد في مقال سهيل زكار، ص15.

2 -Ayalon, David: Gun Powder and fire Arms in the Mamluk Kingdom, London, 1956. No.14. p.6.

3 - عن هذه الشهادة و تحليل هذا النص من وجهة النظر الحربية. انظر محمود نديم أحمد فهيم: المرجع السابق، ص178-179.

4 - ابن أرنبغا: الأنيق في المجانيق، ورقة 5 وسميت بالنار الإغريقية نسبة إلى مخترعها المهندس الإغريقي الكلينيكوس Kallinikos الذي اخترعها في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع (668-685م) وتركيب هذه النار عبارة عن مزيج من النفط والزيت والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال وكان هذا المزيج يوضع في أنابيب من النحاس لها فم يوقد منها، وفي مؤخرتها قوس يدفعها بقوة الضغط إلى الإمام، وكانت تلك الأنابيب النحاسية توضع بكميات كبيرة في أسطوانة هائلة مستديرة، وتلقى في المنجنيق ثم تقذف على العدو، فتصليه نارًا حامية وأنها نفس نظرية قاذفات اللهب حاليًا والتي تطورت إلى النابلم. انظر جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، الإسكندرية، 1968م، ص157، محمود نديم: المرجع السابق، ص175-176.

وأطلقوا على الجنود مستخدمي هذا السلاح لفظ "النفطية"، وقد أظهر هؤلاء الجنود مهارة فائقة وخبرة عالية في استعمال هذا السلاح، الأمر الذي أدى إلى تمتعهم بنفس المهارة والخبرة حين استخدموا البارود والذي يمكن اعتباره تطورًا طبيعيًّا لسلاح النار الإغريقية[1].

أما عن استخدام الأحباش للأسلحة النارية بصفة عامة والبارود بصفة خاصة، فقد سبقت الإشارة إلى معرفة الأحباش لسلاح النار الإغريقية، حيث قام الأمير الطنبغا حاكم قوص بتدريب الأحباش عليه، إلا أنه لا توجد دلائل تشير إلى إجادة الأحباش لاستخدام هذا السلاح، ربما لحداثته بالنسبة لهم وعدم تعودهم على استخدامه، فضلًا عن عدم توافر الملابس الحربية الواقية من الحرائق والتي لا بد من استخدامها مع هذا السلاح. وعلى أية حال فلم يستمر استخدام الأحباش لهذا السلاح لمدة طويلة، فقد عرفوا سلاحًا أكثر تطورًا وربما أسهل نسبيًّا في الاستخدام وهو البنادق والمدافع[2]، والتي عرفت بالحبشة كنتيجة لاتصال الأحباش بالأتراك العثمانيين والبرتغاليين. وفي هذا الصدد فقد قام الإمبراطور لبنا دنجل بتزويد بعض فرق الجيش

---

1 - كان استخدام البارود وآلاته من المدافع أو البنادق قاصرًا على أبناء مصر وسودانه وحدهم، إذا يقول ابن إياس أن من يرمي بالمدافع أو البنادق في أيام دولة المماليك هم أولاد الناس، أي المصريين وسودان مصر، وذلك لأن المماليك كانوا من الفرسان لا يستعملون إلا السيف أو ما في نوعه، وهو يؤكد أيضًا رفض فرسان المماليك استخدام مثل هذه الأسلحة آنذاك. انظر عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص23،ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص 369، عبد الرحمن زكي، ابن إياس واستخدام الأسلحة النارية، ص 114،

- Roland Oliver: The Middle Age Of African History , Oxford 1968,p.64

2 - تعتبر البندقية أول سلاح ناري عرفته الجيوش حيث كانت في بداية صناعتها طويلة بدائية، وكان الجندي يقضي وقتًا طويلًا لإعادة تعميرها، كما أن مرماها كان محدودًا، وكان الرمي بها قليلًا، ولهذا كان على حملة البنادق أن يقاتلوا من قاعدة قوية صلبة يكونها حملة الحراب الذين يدافعون عن حملة البنادق أثناء إعادة تعميرها، لذلك كان من الطبيعي أن تكون نسبة حملة البنادق إلى حملة الحراب قليلة. انظر محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص116.

الملكي بالبنادق والبارود المصنوع في الحبشة[1]. ويذكر أن استعانة الأحباش بالبرتغاليين لتلقي التدريب الكافي لاستخدام البنادق قد استغرق فترة طويلة من الزمان[2].

ورغم ظهور مثل هذه الأسلحة بالحبشة، والمحاولات التي بذلت لتدريبهم عليها، إلا أنه يمكن القول بأن انتشار استخدام هذه الأسلحة في ميدان القتال واكتساب مهارة هذا الاستخدام لم يتم إلا في العصور الحديثة. وربما يمكن إرجاع أسباب عدم انتشار مثل هذه الأسلحة بالحبشة قبل هذه العصور إلى عدة أسباب لعل من أهمها أن المدافع قد مثلت سلاحًا مستحدثًا تمامًا من وجهة نظر الجندي الحبشي حيث لم يسبقها أي سلاح مماثل لدى هذا الجندي، فضلًا عما تطلبه استخدام هذه الأسلحة من إحداث تغييرات جوهرية في التكتيك العسكري وأساليب القتال[3]، وما يستتبعه من حدوث ثورة في الحكومة الحبشية العسكرية بحيث تختار سبيلًا يختلف اختلافًا عظيمًا عن روح نظامها القديم، وكلها أمور صعب توافرها خلال هذا العصر ربما لانشغال الجيش بعدة حروب متواصلة[4].

علاوة على ما سبق، يمكن الإشارة إلى بعض الأسباب النفسية لعزوف الفرسان الأحباش بصفة خاصة عن استخدام البنادق، ذلك أن البندقية تعتبر سلاحًا شخصيًا وجماعيًا في نفس الوقت، وكانت من أهم دواعي استخدامه ضرورة تجريد الجندي المستخدم له من أدوات الحرب القديمة مثل القوس والرمح والسيف[5]. وكان هذا التجريد عملية لا يقبلها الفارس الحبشي، إذ أنها تعتبر من وجهة نظره بمثابة حرمانه من سلاحه التقليدي وفرسه اللذين كانا سببًا في ارتفاع مكانته وعلو شأنه.

1- Jones and Monroe: op. cit. p. 81.

2 - إبراهيم محمد حسن: المرجع السابق، ص190.

3 - محمد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص117-118.

4- Roland oliver, op.cit.p.182.

5 - محمد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص118.

وهكذا فقد رفض الفارس الحبشي أن تنخفض مكانته، فيقاتل على قدميه كجندي المشاه المضطر للسير على قدميه[1]، ولذلك كان استعمال السلاح الناري لا بد وأن يحدث تغييرات بعيدة المدى في التنظيم القتالي وأساليب الحرب، ومجمل القول أن أي جهود تستهدف نشر البنادق في الجيش الحبشي على نطاق واسع، كان لا بد لها من استحداث فرق عسكرية جديدة ينتمي جنودها إلى طبقات أقل شأنًا ولا يتوافر لهم مبادئ التدريب القتالي التقليدي إلا القدر اليسير[2].

يذكر أن هذا العزوف عن استخدم هذه الأسلحة استمر في الحبشة على وجه الخصوص حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فحينما زار الحيمي بلاد الحبشة وجد أن الأحباش يفزعون من سماع أصوات البنادق "وكانوا يعجبون من رمي البندق غاية العجب... وهم يعتقدون أن صاحب البندقية إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تحلل"[3].

ورغم المبررات السابقة والتي أشارت إلى عدم إقبال الأحباش على استخدام البنادق بالكفاءة والمهارة المطلوبة، إلا أن هذا لا يعني أنهم عزفوا عن استخدامها على الإطلاق، بل إن الراجح أنهم استخدموها على نطاق محدود وفي عهد حديث نسبيًا، وكان هذا الاستخدام لمثل هذه الأسلحة يتم من خلال تدريب شاق يستغرق فترات طويلة

---

1 - من الواضح أنه كان من المرغوب فيه أن يستطيع جندي المشاة إطلاق بندقيته وأن يصمد لهجوم خيالة العدو وخاصة بسبب أن الجمع بين حملة البنادق وحملة الحراب قد أربك التكتيكات، يذكر أنه تم حل هذه المشكلة على يد رجل فرنسي يدعى "بيوسيجور" عام 1647م عندما استطاع أن يثبت إلى فم ماسورة البندقية خنجرًا صغيرًا، وهو الأمر الذي أدى إلى اختفاء حملة الحراب والرماح، وصار جندي المشاة يحمل سلاحًا ذا غرض مزدوج في البندقية، مما يمكنه من إطلاق مقذوف في المرمى الطويل، وهي أيضًا تمده بحربة في المدى القصير، ومن ثم استطاع جندي المشاة أن يصمد وحده لهجمات الخيالة، انظر محمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص117.

2 - عبد الرحمن زكي: ابن إياس، ص121.

3 - الحيمي: المصدر السابق، ص85.

بالاستعانة بالضباط والجنود البرتغاليين وغيرهم[1]. ومن هنا يمكن القول إن الجيش الحبشي في عهد الأسرة السليمانية لم يتوسع في استخدام البارود والأسلحة الحديثة إلا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانت هذه الأسلحة في ذاك الوقت تصنع من النحاس والحديد، وكانت مختلفة الأحجام، فقد اشترى الإمام أحمد "مدفعًا واحدًا كبيرًا نحاسيًّا واثنين صغيرين من حديد"[2]، كما يوجد إشارات كثيرة تشير إلى امتلاك جيش المسلمين بالحبشة المدافع التي جلبت غالبًا من جنوب شبه الجزيرة العربية نظرًا لقربها من بلاد الزيلع، وقد تكون تلك المدافع قد تسربت إلى الجنوب العربي من العثمانيين الذين كانوا يعملون على السيطرة على اليمن آنذاك[3]. وما كاد الإمام أحمد يمتلك هذه الأسلحة حتى بدأ يستعد لخوض المعارك ضد المملكة الحبشية المسيحية، حيث استطاع دخول إمارة دوارو وفيها جرت معركة أنطوكية (937هـ/1531م) واستخدم فيها المدافع لأول مرة، ولذلك استطاعت قواته من إحراز نصر ساحق على الأحباش المسيحيين[4].

وإذا كان بعض المؤرخين المحدثين قد رجحوا احتكار الإمام أحمد بن إبراهيم وجنوده وحدهم لهذا السلاح الفتاك، إلا أن هناك إشارات عديدة تنفي هذا الاعتقاد، فلقد كان اتصال أباطرة الحبشة بملاك هذه الأسلحة من الأوربيين منذ زمن بعيد نسبيًّا، ما يشير إلى امتلاك هؤلاء الأباطرة لهذه الأسلحة بفترة أسبق من امتلاك الإمام أحمد لها، والدليل

---

1 - Jones and Monroe: op. cit. p. 82.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 315-316.

3 - المصدر السابق، ص 109.

4 - تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى تفوق عرب المهرة بالذات في هذه المعركة، وخاصة رجلين منهم أشاد بهما عرب فقيه وقال إنهما يجيدان رمي القوس فلم يكونا يخطئان أحدًا رموه من الأحباش المسيحيين، ولم يحسم المعركة إلا مقدم المهرة سعيد بن صعبان المهري الذي أمره الإمام أحمد بضرب الأحباش بمدفعه، فكان له أثر كبير في انتصار المسلمين. انظر عرب فقيه: المصدر السابق، ص109، 312، رجب محمد عبد الحليم، العروبة والإسلام، ص183-184.

على ذلك تلك الإشارات التي وردت عن عرب فقيه (الذي كان معاصرًا لتلك الأحداث) توضح أن الإمام أحمد قد غنم في موقعة وقعت في مكان يسمى (دخن دور) ومعناها مسكن الفيل في عام 937هـ/ 1531م، ستة مدافع من الأحباش المسيحيين[1]، وقد مكن استخدام نصارى الحبشة البارود من حسم كثير من المعارك لصالحهم، وهو الأمر الذي يؤكده النص الحبشي[2]

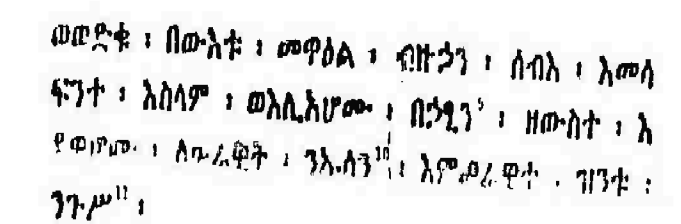

ليس هذا فحسب، بل إنهم استخدموا أيضًا هذه المدافع في الدفاع عن جبل العنبا، وذلك من خلال صب نيرانها على المسلمين من فوق ذلك الجبل[3].

تأسيسًا على ما سبق يمكن الادعاء بامتلاك كلٍّ من نصارى الحبشة والمسلمين الأحباش للأسلحة الحديثة المعتمدة على استخدام البارود في العقد من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أما عن أثر ذلك السلاح في ترجيح كفة أي من الفريقين على الآخر، فيمكن القول إن ذلك قد ارتبط بكفاءة الجنود في استعماله، وأدى استخدام المسلمون لهذا السلاح إلى ترجيح كفة المسلمين والذين أوشك جيشهم على الاستيلاء على الحبشة بأسرها بسبب مساعدة الأتراك لهم وتدريبهم

---

1 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص165.

2 - وفي تلك الأيام سقط عدد كبير من قادة المسلمين وذويهم بقوة أيدي فرق صغيرة من جيوش ذلك الملك.

W. Conzelman: op,cit,p.10.

، منال عبد الفتاح محمود، المرجع السابق، ص9.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 311-315.

للمسلمين على استخدام هذه الأسلحة، إلا أن انتصاراتهم قد توقفت عندما أخطأ الإمام أحمد وتوهم أنه بهذه الانتصارات قد قضى على أعدائه نهائيًا، وانتهى الأمر لصالحه إلى الأبد، لذلك رفض المساعدات التركية وأعادها إلى باشا زبيد[1] في الوقت نفسه تجمعت قوات البرتغاليين مع الإمبراطور جلاوديوس بعد أن جمعوا أسلحتهم وأعادوا تدريب الجنود عليها، وهو الأمر الذي مكنهم من القضاء نهائيًا على الإمام أحمد بن إبراهيم في عام 949هـ/ 1543م[2].

وهكذا يمكن القول إن ظهور البارود واستخدامه لدى القوات نصارى الحبشية قد مكن هذه القوات من التغلب على كثرة وشجاعة الجيوش الإسلامية، حيث لاحظ بعض المؤرخين السرعة الزمنية التي استغرقتها القوات النصرانية الحبشية في إلحاق الهزيمة بالقوات الإسلامية حينما ازداد اعتمادها على هذه الأسلحة الحديثة[3]، حيث بلغت هذه المدة الزمنية نحو ثلاث سنوات فقط، وقد رجح هؤلاء المؤرخون أن قصر هذه المدة ربما يرجع إلى رفع كفاءة واستعدادات القوات النصرانية الحبشية في القتال بصفة عامة بسبب تدخل البرتغاليين بشكل مؤثر وفعال ومساندتهم ودعمهم لهذه القوات وإمدادها بالأسلحة الحديثة[4].

---

1 - يظهر أن الإمام أحمد قد رفض المعونة العسكرية التي قدمها له الأتراك العثمانيون، لأنه كان متخوفًا من علاقته بهم، فقد ظن أنه بعد انتهاء الحروب الحبشية، سيضطر إلى أن يدخل في حرب أخرى مع هؤلاء الحلفاء، بحجة تدخلهم في الشؤون الداخلية للحبشة ومن ثم سيطرتهم على البلاد. انظر حمدي السيد: المرجع السابق، ص370، كذلك
Jones and Monroe: op. cit. p. 84.

2-Trimingham: op.cit.p.89, Roland Oliver, op.cit.p.182.

3 - رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية، ص118، إبراهيم محمد حسن، المرجع السابق، ص 196.

4 - Lew,Im,: the Somali conquest of the Horn of Africa, the Journal of African History, edited by R. A Oliver and J.D. Fage(Cambridge. Cambridge University. Press 1966) Vol. 1. N1.2 P. 223.

15- الإقطاع العسكري {نظام الجلت Gult}

عند النظر إلى الأصل اللغوي لمصطلح الجلت Gult

يتضح أنه أشتق من اللفظ gallata وgaulltа في اللغة الأمهرية في اللغة الجعزية، وهو تعبير خاص بالإقطاعية. وقد أولى المؤرخون اهتماما كبيرًا لنظام الإقطاع العسكري، حيث اعتبروه قاعدة لقوة العرش الملكي في الحبشة خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[1].

أ- نشأة نظام الإقطاع العسكري في الحبشة

إن نظام الإقطاع العسكري بالمملكة الحبشية لا يمكن في واقع الأمر إرجاع نشأته وبداية ظهوره إلى عهد السليمانيين، بل على العكس من ذلك تمامًا يمكن القول أن هذا النظام كان سابقًا على عهد السليمانيين بفترات زمنية طويلة، وذلك اعتمادًا على القاعدة التي تقضي بأحقية الملك في أن يحوز جميع الأراضي التي تقع في نطاق مملكته[2]. وعلى ذلك فقد ورث "يكونو أملاك" وخلفاؤه تلك العلاقة الإقطاعية التقليدية التي كانت سائدة على عهد ملوك الزغاوة[3]. وعلى ذلك يمكن القول إنه رغم أن نظام الإقطاع العسكري ترجع نشأته إلى عهد سابق على عهد السليمانيين، إلا أن المنح الإقطاعية قد شهدت تطورًا كبيرًا وزيادة ملحوظة من قبل الملوك الأحباش في ذلك العهد، والذين أفرطوا في تقديم المنح الإقطاعية التي توافرت لديهم عن طريق الغزو العسكري وضم أراضٍ جديدة للملكة[4].

ولقد ارتبط نظام الإقطاع العسكري ارتباطًا قويًا بالحياة الحبشية في العصور الوسطى، وذلك من النواحي السياسية والاقتصادية

1 - Taddesse Tamrat: op, cit , p. 98.

2 - Ibid, p. 98.

3 - Mordechai Abir: op, cit , p. 43.

4 - Donald Crummey: op, cit., p.10.

والاجتماعية بل والدينية، الأمر الذي ربما يشير إلى مدى الصعوبة والتعقيد في دراسة هذا الموضوع، خاصة في ظل ما تميز به البناء الاجتماعي في الحبشة في تلك الفترة من تداخل شعوب قبلية متعددة (من الجالا والأجاو والزنوج والعرب وغيرهم) في محيط سياسي واجتماعي لا يقوم على أسس قبلية[1].

وقد تطور النظام الإقطاعي الحبشي في عهد الأسرة السليمانية كرد فعل طبيعي لرغبة ملوك هذه الأسرة في التوسع في نظام الجيش والفرسان ليجعلوه قوة فعالة في ميدان الحرب، ولكن هذا التوسع كان يتطلب نفقات ضخمة لإعداد ما يحتاج إليه الجندي من فرس ودرع وسلاح وملابس، فضلًا عن أن هؤلاء الجنود يجب أن يتوافر لهم موارد يعيشون عليها حتى يتفرغوا لشؤون الحرب والقتال[2]. ولما كانت موارد الدولة محدودة بحيث لا تفي بكل هذه المطالب، فإن ملوك هذه الأسرة لجأوا إلى حل يتفق وتقاليد ذلك العصر، فقاموا بتسجيل أسماء المحاربين وأعطوا كل منهم إقطاعًا يكفي لسد مطالب معيشته، على أن يبقى هذا الإقطاع في حوزته ما دام يقوم بالخدمة العسكرية[3]. وعندما وجد ملوك هذه الأسرة أنه من الصعب توافر الأرض اللازمة لهذا العدد الكبير من الجنود، وأنهم لا يستطيعون إضعاف موارد الحكومة بتوزيع الملكية على الجند، بدأوا يتطلعون إلى أراضي الإمارات الإسلامية والوثنية المجاورة لهم، وقد حدث ذلك أيام عمد صيون بغرض إخضاع هذه الإمارات له، إضافة إلى السيطرة على الطرق التجارية التي تمر عبر مملكته[4].

---

1 - L. Dudley Stamp: op, cit., p. 356.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit , pp. 98-99.

3 - Francisco Alvarez: op, cit , pp. 116-117.

4 - بالإضافة إلى هذه الأسباب، كان الجيش الحبشي يقوم بعمليات السلب والنهب مستوليًا على ما يجده من الماشية والخيل والرقيق وممتلكات الأهالي، نظرًا لأن الملك كان يمنح هذه الأشياء إلى الجنود، فبعد الغزو يتم توزيع حصص الأراضي على الجنود وقادة

وإذا كان ما سبق يمثل البدايات الحقيقية لظهور النظام الإقطاعي الحبشي، فإن هناك ظروفًا سياسية واجتماعية ساعدت على نمو هذا النظام وتفرعه، وذلك أن المنازعات التي استمرت بين الأبناء بعد وفاة أبيهم، أثارت جوًّا من الفوضي، ثم جاءت الأخطار الخارجية لتزيد من اضطراب الأوضاع، لأن إغارات المسلمين على أراضي الحبشة جعلت أهالي القرى والمدن والمؤسسات الدينية لا يأمنون على أنفسهم إلا في ظل القوة المسلحة[1]. وفي هذه الأوضاع القلقة أصبح لزامًا على الرجل العادي الحر أن يختار أحد طريقين، إما أن يصبح جنديًّا وإما أن يصبح تابعًا، لأنه لا يستطيع البقاء بمفرده دون سيد قوي يحميه، وهكذا أخذ الملوك وكبار الأمراء يبحثون عن أتباع مسلحين يساعدونهم في التغلب على ما يواجههم من أخطار[2]. ولعل هذه التبعية الأقطاعية تعني عضوية صاحبها في طبقة المحاربين وتبعًا لذلك يتصف بأخلاق الشجاعة والكرم والمروءة وهي الصفات التي عرف بها فرسان العصور الوسطى[3].

على أية حال يتضح أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة قد ساهم في إضعاف السلطة المركزية للدولة، وذلك بسبب عجزها عن مواجهة الأخطار المحيطة بها، الأمر الذي دفع الملك إلى التفكير في اختيار بعض ذوي النفوذ والبأس لينعم عليهم بحقوق وامتيازات في عدة مناطق مقابل شروط خاصة، (غالبًا ما تتمثل في قيام الشخص المنعم عليه بمساعدة الملك ومناصرته في وقت الحاجة أو متى طلب منه ذلك)، الأمر

الجيش، فضلًا عن أتباع الملك، لذلك رجعت هذه الجيوش منتصرة وامتلأت منازلهم بالغنائم من الماشية والعبيد والمواد الغذائية. وللمزيد انظر:

-Taddesse Tamrat: op, cit , p.102.

1 - Budge: op, cit, pp.290-291.

2 - Mordechai Abir: op, cit , p. 48.

3 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 114.

الذي أضفى على هذا النظام أبعادًا اقتصادية واجتماعية إضافة إلى أبعاده السياسية والعسكرية[1].

ب- التزامات الإقطاعيين

إن العلاقة المتتابعة بين السادة الإقطاعيين لم تتطلب نوعًا من الالتزامات الشخصية فحسب، بل ترتب عليها أيضًا حقوق عامة والتزامات سياسية وحربية، فمن الطبيعي أن يكون التعاون في ميدان الحرب هو المحور الأساسي للعلاقات الإقطاعية بين الملك وتابعيه، لأن المهمة الأولى لهؤلاء التابعين هو الخدمة في جيش الملك، وهكذا أصبح المجتمع الإقطاعي يدور حول محور واحد هو الجندي المحارب، فيتعهد الأمير الإقطاعي بالحضور فورًا على رأس عدد معين من الجنود لمساندة الملك متى طلب منه ذلك، وبالتالي يتعهد أفصال الملك بمساندته وقت اشتباكه في حرب مع عدو له[2].

وفي واقع الأمر فإنه لم تحدد المصادر والمراجع المتاحة مدة معينة للخدمة العسكرية التي يؤديها هؤلاء الجنود لسيدهم الإقطاعي خاصة في الوقت الذي اشتدت فيه الحروب بين الدولة وبعض الإمارات الإسلامية، فأصبح لزامًا عليهم أن يهبوا لحمل السلاح دون قيد أو شرط وقتما طلب منهم ذلك.

وإلى جانب هذه الالتزامات السياسية والعسكرية، تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الإقطاعيين كانت عليهم بعض الالتزامات الاقتصادية الأخرى، ذلك أنه صار لزامًا على هؤلاء أن يدفعوا عدة مقررات وضرائب إقطاعية صارت بمثابة حقوق ثابتة للملك، ولم تكن هناك قاعدة ثابتة لتحديد قيمة المبلغ الذي يدفعه هؤلاء للملك، وإن اختلفت قيمتها من مكان إلى مكان آخر حسب خصوبة الأرض والهيكل الاجتماعي للمنطقة

1 - Taddesse Tamrat: op, cit , p.100.

2 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 116.

وغير ذلك. وكانت هذه الضرائب تدفع بعدة أشكال منها ما هو نقدي ومنها ما يدفع على هيئة عينية كالحاصلات الزراعية والخيول الجيدة ورؤوس الماشية والأغنام والفؤوس والحرير...[1]، ويحضرون هذه الأشياء إلى حاكم المقاطعة الذي يضيف لهذه الأشياء 150 حصانًا ثم يرسلها إلى الملك مباشرة[2]، وكان صاحب الإقطاع قد قام بتعيين موظف مسؤول عن بعض الأمور المالية والإدارية في الإقطاعية وخاصة جمع الضرائب من الفلاحين، وأطلق عليه لفظ (Gultenya)[3]، وبعد جمع الضرائب يقوم بتسليمها لصاحب الإقطاعية الذي أطلق عليه لفظ (Abala-gult)[4]، والذي كان له جميع الحقوق على الأرض والفلاحين الذين يعملون عليها، وقد قسمت الأرض إلى أجزاء صغيرة ووكل لعدة أشخاص مسؤولية أجزاء منها وأطلق على كل شخص لفظ (Ristegna)[5].

كما كان هناك التزام آخر على هؤلاء الإقطاعيين، يمكن أن يطلق عليه "ضريبة الضيافة"[6]، فعند مرور الجيش عبر إحدى القرى أو المقاطعات المختلفة في طريقه لشن الحرب، وجب على أصحاب القرى والمقاطعات التي سيمر خلالها الجيش تقديم واجب الضيافة لجميع المحاربين وتوفير احتياجاتهم من المعدات والمؤن وغير ذلك. وفي حالة صدور الأوامر بإقامة معسكر حربي للجيش لفترة طويلة في إحدى

---

1 - Donald Crummey: op, cit, p.11.

2 - Francisco Alvarez: op, cit, p. 114.

3 - Donald Crummey: op, cit, p.12.

4 - Teshale Tibebu: The Making Of Modern Ethiopia (1896-1974), the red sea press, Lawrenceville, New Jersey, 1995, p. 80.

5 - Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry: Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, p 122.

6 - Sandra Joireman: Property Right & Political Development in Ethiopia & Eritrea 1941-1974, Oxford, j currey; Athens; Ohio University Press, 2000, pp.53-55.

القرى، فقد كان يطبق نفس النظام ويزيد عليه اشتراك جميع القرى المجاورة في إمداد المعسكر باحتياجاته من المؤن والمستلزمات الأخرى التي تكفيه طوال مدة إقامة المعسكر[1].

وتجنبًا لحدوث صراعات بين الوحدات العسكرية أثناء مرور الجيش في حملة عسكرية أو أثناء مرور الموكب الإمبراطوري، فإن احتياجات ومستلزمات الجيش والتي كانت تجمع من البلاد التي يمر بها كانت توزع بعدالة بين القوات العسكرية المختلفة بغرض تسهيل وتنظيم عملية استيفاء احتياجات الجيش طوال فترة مروره أو إقامته بهذه البلاد. ويذكر أن مهمة التوزيع العادل للاحتياجات والمؤن كانت تعهد إلى عدد من كبار الأسر المنتمية إلى الجهات التي سيمر عليها الجيش أو الموكب[2].

ج- نظام توريث المنح الإقطاعية

لم يعرف نظام الإقطاع الحبشي في بداية ظهوره نظامًا معينًا لتوريث المنح الإقطاعية، بل كان الشخص يتمتع بهذا الحق الإقطاعي أثناء حياته فقط، أو لفترة مؤقتة في حياته طالما يقوم بتلبية الأعباء المرتبطة بحصوله على المنحة الإقطاعية. وبمرور الوقت فقد تطور النظام الإقطاعي الحبشي حيث تمثلت أهم مظاهر تطوره في تحويل المنح الإقطاعية من منح مؤقتة إلى منح وراثية. وعلى ذلك فقد اتخذت الأعباء المرتبطة بهذه المنح شكلًا ثابتًا بين الوريث والملك مما يمكن معه القول بأن الإقطاع العسكري في الحبشة بمعناه وأهميته الحربية القائمة على أساس المسؤولية الشخصية الممنوحة مقابل الاحتفاظ بحقه في المنحة، وهكذا فقد ارتبط الحق الشرعي للوريث في الحصول على إقطاع أبيه بأدائه لفروض التبعية للملك[3].

---

1 - Budge: op, cit, p.291.

2 - Taddesse Tamrat: op, cit, p.100.

3 - لم تكن منح الأرض التي يعطيها الملوك للأفراد أو الكنائس تسجل في أول الأمر، ولكنها بدأت تسجل بأمر الملك لبنا دنجل وقد عرف هذا السجل باسم Susneyos، كما لم تكن

وبمجرد أن اتخذ الإقطاع صفة الوراثة فقد أطلق لفظ (Rist)على الأرض التي منحت إلى الشخص المسؤول عن الإقطاعية[1] وهذا اللفظ مشتق من الفعل Warrasa في الأمهرية، وWarasa في الجعزية، وهي تعني الوراثة، (آل إليه بالميراث)، والمعني العام هو الحق العام لميراث الوالد، واستعمله الأحباش للإشارة إلى أي حق موروث بصفة عامة. وإلى الحق الثابت من زراعة الأرض بالوراثة على وجه الخصوص[2].

إضافة إلى ما سبق فلم ترد بالمصادر التي أمكن الاطلاع عليها أي إشارة إلى موقف أراضي الإقطاع إذا مات صاحبها دون ترك وريث ذكر، أو دون ترك وريث على الإطلاق، ولكن الراجح أن الأرض التي منحت لهذا الشخص كانت ترد تلقائيًا إلى الملك مرة أخرى، أما إذا مات هذا الشخص وكان الوريث أنثى، يكون على الملك أن يبحث لها عن زوج مناسب، خاصة أنه التف حوله عدد من الفرسان الشباب الذين يتوقون للحصول على إقطاعات خاصة بهم.

بناءً على ما سبق يمكن استنتاج أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة لم يعترف في بداية تطوره بملكية الأفراد للأرض بالملكية الفردية المطلقة للأرض، (على اعتبار أن الملك كان -من الناحية النظرية- هو المالك الفعلي لجميع أراضي المملكة). ومع مرور الوقت أصبح الإقطاع يورث.

د- نصيب الكنيسة من أراضي الإقطاع

تجدر الإشارة إلى أن الكنيسة قد لعبت دورًا بالغ الأهمية في دعم نظام الإقطاع العسكري بالحبشة وإرساء قواعده. فالمعروف أن مؤسس

هذه الأرض وراثية بل يحتفظ بها الفرد طيلة حياته، وكان يتم تجديدها من قبل الملوك. انظر:

- Francisco Alvarez: op, cit, pp.17&94.

1 - Donald Crummey:: op, cit, p. 9.

2 - Sandra Joireman: op, cit, p.54.

الأسرة السليمانية الأول "يكونو أملاك" منح دير دبر لينانوس Libanos ثلث أراضي الدولة مقابل تأييد رجال الكنيسة له، وعرفانًا منه بدورهم في وصوله للحكم ودعمه أثناء فترة حكمه[1].

إضافة إلى ذلك فقد قدم "يكونو أملاك" المنح الإقطاعية لرجال الدين وفقًا لرتبة كل منهم، كما قدم منحًا أخرى للأسر الكبيرة، وكبار الموظفين، والنبلاء الذين عمدوا أيضًا إلى منح الكنيسة بعض الأراضي مقابل خدمات دينية معينة كانت معروفة وسائدة في ذاك الوقت[2].

وهكذا فقد استمر هذا التقليد للملوك والنبلاء الأحباش تجاه الكنيسة طوال فترة حكم هذه الأسرة في الحبشة، وقد كان الهدف المعلن لتقديم هذه المنح الإقطاعية هو البرهان على شدة الإيمان والتقوى الدينية تجاه الكنيسة[3] إلا أن الأهداف الحقيقية غير المعلنة لذلك قد تمثلت في الرغبة في السيطرة على رجال الدين وكسب ولائهم من ناحية، ومساعدتهم للملوك في أوقات المحن والأزمات الصعبة من جهة أخرى[4]، فضلًا عن المساهمة في نشر الرسالة الملكية لعامة الشعب من جهة ثالثة[5].

ومما سبق يتضح أن الكنيسة كانت شريكًا أساسيًا للملوك الأحباش في حكم البلاد خاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر

---

1 - Mordechai Abir: op, cit , p. 62.

2 - كانت الكنائس تحصل على مساحات كبيرة من الأراضي خاصة في جنوب المملكة الحبشية، حيث كانت كل كنيسة تأخذ منحتها وفقًا للتقدير المتفق عليه، وذلك تمشيًا مع تعاليم الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية، وكان ذلك بصفة دائمة. انظر:

- Sandra Joireman: op, cit, p. 59.

3 - وقد أشار ألفاريز أن بعض الملوك منحوا الأراضي لإحياء ذكراهم السنوية بعد موتهم، ومثال على ذلك الملك جلاديوس عندما قام بتجديد منح الأراضي التي منحها آبائه إلى دير Bizan. للمزيد انظر:

- Francisco Alvarez: op, cit, pp.90-91.

4 - Teshale Tibebu: op, cit , p. 80.

5 - Donald Crummey: op, cit, p.29.

والرابع عشر الميلاديين، فقد تمكن هؤلاء الملوك من الوصول بالمنح الإقطاعية إلى جميع الأديرة والكنائس في مختلف أنحاء البلاد، وإن كان حجم المنح المقدمة كان يتفاوت ما بين الزيادة والنقصان وفقًا للفترات الحربية المختلفة، وما يستتبعها من احتلال أراضٍ جديدة، وعلى ذلك فقد أصبحت أراضي الإقطاع ركنًا أساسيًّا من أركان هذه المؤسسات الدينية لا يمكن الاستغناء عنه، وقد وصل الأمر إلى الدرجة التي أعرب فيها أحد رجال الدين عن حاجة الكنيسة للأراضي الإقطاعية قائلًا للملك "داود": "إن الكنيسة التي ليس لها أرض مثل المرأة التي ليس لها زوج"[1]، ولهذا كله فقد أطلق بعض الباحثين على الكنائس الحبشية في هذه الفترة لفظ "الكنائس الملكية"[2].

وعلى الجانب الآخر، وفي مقابل هذه المنح، فقد كان على رجال الدين وخاصة البطارقة، دور في الحروب التي قامت بين الملوك الأحباش والمسلمين، فكان لهم دور في تعبئة الجيوش في وقت قصير[3]، عن طريق الأديرة كل في منطقته، كما كان الجيش الحبشي به عدد من البطارقة لهم دور في حماسة الجنود الدينية، إضافة إلى الاشتراك الفعلي في عمليات القتال، بل كان بعضهم على رأس الجيوش المقاتلة[4]، كما كان لهم جيوش خاصة بهم اشتركت بشكل أساسي في الحروب حتى أصبحت تابعة للجيش الملكي[5]، ولهم أيادٍ بيضاء على الدولة، فقد أنقذوا جبل العنبا من محاولة استيلاء المسلمين عليه في 938هـ/ 1532م[6].

---

1 - Donald Crummey: op, cit, p.30.

2 - Sandra Fullerton Joireman: op, cit, p.53.

3 - Mordechai Abir: op, cit , p. 45.

4 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص48.

5 - Richard Pankhurst: An Introduction to the Economic History of Ethiopia from Early time to 1800, Sidgwick and Jackson LTD., First Edition, London, England , 1961, p. 159.

6 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 234-236، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص 220.

أما عن طريقة تسجيل الأراضي الممنوحة للأفراد أو المؤسسات الدينية، فلم يكن هناك اهتمام كبير بتسجيل هذه الأرضي في بادئ الأمر، بل كانت تتم في صورة تعاقد بين الملك والشخص الممنوح بطريقة ربما أدت إلى فقد الكثير من هذه العقود، إلا أنه في عهد الملك لبنا دنجل[1] تم تغيير هذا النظام التعاقدي حيث استحدثت بدلًا منه طريقة أدق تسمح بتسجيل الأراضي الإقطاعية في سجلات الدولة الرسمية (والتي كتبت في شكل دستور أطلق عليه Susneyos)، وذلك بأمر من الملك لبنا دنجل شخصيًا[2]، وهكذا أصبح نظام التسجيل الجديد أكثر أمانًا ودقة حيث يصعب التلاعب في هذه السجلات والتي احتوت على حوالي ثلاثين شاهدًا على السجل ومعظمهم من البلاط الملكي وحاشية الملك، كما احتوت هذه السجلات على العديد من ألقاب المسؤولين المعاصرين وأسمائهم[3] ولذلك فقد أسهمت هذه السجلات بشكل كبير في تأريخ النظام الإداري الحبشي خاصة أن هذه القوائم أعطيت شكل البلاط الحبشي في وقت المنح الإقطاعية.

---

1 - لقد أراد لبنا دنجل تأمين عرشه من الصراعات الطبقية العنيفة التي سادت في عصره، لذلك وجد في تسجيل الأراضي للفلاحين لهم، مخرجًا في صراعهم الطبقي ضد مسؤولي الإقطاعيين وذلك لتخليص أنفسهم من تبعيتهم الاجتماعية. انظر:

Donald Crummey: op, cit, p.36.

2 - هذه السجلات كتبت بطريقة مشابهة جدًا للسجلات الإنجليزية، فقد تكونت من 7 بنود رئيسة وهي:

1- عبارة افتتاحية. 2- تسمية المنح.... من.... إلى.... 3- سبب المنحة. 4- المنع (منع من يدخل الأرض بعد منحها) 5- عقاب من يخالف السجل. 6- التاريخ 7- الشهود. انظر جدول رقم(6).

وبالرغم من ذلك فإن معظم هذه السجلات غير مؤرخة، فقط هناك 8 سجلات مؤرخة في عهد لبنا دنجل. انظر وثيقة رقم(1) في الجزء الثاني من الكتاب، وأيضًا

Donald Crummey: op, cit, pp.35-39.

3- انظر وثيقة رقم (2) في الجزء الثاني من الكتاب.

- Francisco Alvarez: op, cit, p. 17

ن- نظام الإقطاع العسكري في الإمارات الإسلامية

فيما يتعلق بنظام الإقطاع العسكري في الإمارات الإسلامية التابعة للمملكة الحبشية، يمكن القول إنه لم يكن للجند ديوان فيها ولا سجلات تحتوي على قوائم بأسماء المقاتلين وذويهم ومقادير أعطياتهم[1]. ليس هذا فحسب بل لم يكن للأمراء كذلك إقطاعات ولا رواتب تربطهم بسلاطينهم، وبالتالي لم يكن هؤلاء الجنود في حاجة إلى التفاني في خدمة السلاطين أو إظهار الولاء لهم حتى لا تصادر إقطاعاتهم أو تقطع عنهم أرزاقهم ورواتبهم، كما كان الحال في مصر على سبيل المثال. ويصور العمري هذا الوضع بقوله: "وليس لأمراء هذا الملك ولا لجنده إقطاعات عليه ولا نقود، إنما لهم الدواب الكثيرة السليمة، ومن شاء منهم زرع واشتغل ولا يعارض، ولهذا الملك سماط عام ممدود، بل له سماط خاص ولخاصته، ولكنه يفرق في بعض الأحيان على أمرائه بقرًا عوضًا عن أكلهم على السماط وأكثر ما يعطي الأمير الكبير منهم مائتي بقرة"[2].

وخلاصة القول أنه لم يكن يتحكم في علاقة السلاطين بالأمراء والجنود المسلمين غير الولاء الشخصي، والغيرة الدينية، والخوف على الأعراض، وهو الأمر الذي جعل أوامر السلاطين تتعرض في أحيان كثيرة للعصيان.

وعلى الرغم مما سبق، فلقد حرص هؤلاء السلاطينُ -وعلى رأسهم صبر الدين الثاني والإمام أحمد بن إبراهيم، على اتباع الشريعة

---

1 - يحدد التسجيل في الديوان مقدار العطاء أو الرزق ووقت استحقاقه، والعطاء أو الرزق هو مقدار المال الذي يأخذه كل واحد من الجند في مدة معينة لقاء خدمته في الجيش، وقد لجأت الدولة العباسية في فترات متأخرة إلى تقديم الإقطاع للجند، أي إقطاع خراج الأراضي الزراعية.انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ2، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة بيروت، (بدون تاريخ)، ص 29، 155، عبد الوهاب الحربي: توزيع العطاء علي الجند في فترتي صدر الإسلام والعهد العباسي الأول، مجلة المورد، مجلد 17، العدد الثالث، بغداد، 1988، ص 24.

2 - العمري: المصدر السابق، ص 42.

الإسلامية في توزيع غنائم الحروب[1]، وهو توزيع الخمس للجند المشاركين في المعركة، كما كان يرسل إلى جميع القبائل من الصومال وغيرهم من غنائم الحروب[2]، كما كان الإمام أحمد يحرض أمراء جيشه دائمًا على إخراج الخمس في توزيع الغنائم، "وكل أمير منكم يخرج الخمس من جيشه"[3].

إضافة إلى ذلك فلقد لوحظ عدم استفادة بعض السلاطين من الغنائم التي كانت تقع في أيديهم الاستفادة الكاملة، فكان سعد الدين يقوم بتوزيع نصيبه على الفقراء والمساكين حتى أنه لم يجد ما يأكله، "فأطعمته إحدى زوجاته"[4]، كما كان الإمام أحمد بن إبراهيم يفعل نفس الشيء[5]، وهو الأمر الذي يتعارض مع من يقوم بحروب طويلة المدى، فكان لا بد من ادخار ما يقع من غنيمة في أيدي المسلمين والأمراء استعدادًا لحروب قادمة لا يضمن نتائجها.

من خلال العرض السابق لأهم ملامح نظام الإقطاع العسكري بالحبشة، يمكن استخلاص عدة استنتاجات مهمة، وذلك على النحو التالي:

أن نظام الإقطاع العسكري بالحبشة لم يعترف في بداية تطوره بالملكية الفردية المطلقة للأرض (على اعتبار أن الملك كان من الناحية

---

1 - الغنائم: هي كل ما يحصل عليه المقاتلون من العدو عنوة أو بإيجاف الخيل والركاب بعد المعركة، من سلاح ومال وأمتعة وأسرى وجوارٍ، وتوزع الغنيمة بواقع ثلاثة أسهم للفارس، وسهم واحد للراجل، ولا تقسم الغنائم والحرب قائمة وإنما بعد انتهاء المعركة، وفي حالة قسمة الأراضي بين المقاتلين تصبح أرضًا عشرية وإذا أعيدت إلى أصحابها فيدفعون عنها الخراج تصبح أرضًا خراجية، ولا بأس أن يأخذ المقاتل السلاح من الغنيمة إذا احتاج إليه بغير إذن، فيقاتل به حتى يفرغ من الحرب، ثم يرده إلى المغنم. انظر: عبد الوهاب الحربي: المرجع السابق، ص 12-16.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 34.

3 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 247.

4 - المقريزي: الإلمام، ص 12.

5 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص 261-263.

النظرية هو المالك الفعلي لجميع أراضي المملكة). كما أدى كذلك إلى فوزه بنصيب الأسد من أراضي الدولة، وذلك على اعتبار أنه الطرف الأقوى صاحب النفوذ والسلطان. فضلا عن وجود وحدات اقتصادية مكتفية ذاتيًا، فالمقاطعة الإقطاعية كانت تمثل كيانًا اقتصاديًا مستقلًا، الأمر الذي أعاق تقدم الحياة الاقتصادية في الحبشة في عهد الأسرة السليمانية.

ورغم ذلك فإن النظام الإقطاعي لم يكن ليعني بأي حال من الأحوال الفوضوية أو التعنت الاستبدادي في الحبشة، فلقد كان هذا النظام قبل كل شيء نظامًا تعاقديًا قائمًا على أساس ثابت من الحقوق والواجبات بين الطرفين، وإن انتابه شيء من القصور فإن هذا القصور غالبًا كان يرجع إلى ضعف بعض الملوك الأحباش بدرجة لم تمكنهم من بسط نفوذهم على ربوع مملكتهم.

وفي النهاية فإن النظام الإقطاعي الحبشي مهما اعترضه من سلبيات، فلقد ظل دائمًا بمثابة الوسيلة الفعالة التي مكنت الحبشة في ذلك الوقت من إرساء نظام يضمن لها استيفاء احتياجاتها الحربية والعسكرية والإدارية الكفيلة بالدفاع عن مصالح البلاد وسط الأخطار التي هددتها.

16- المناصب الحربية

اعتاد الأحباش بصفة عامة على أن يكون ملكهم الحاكم لهم من نسب منليك الأول من سليمان عليه السلام والذي يعد وفقًا لمعتقداتهم ابن الإله الأكبر، كما اعتادوا كذلك على أن ينظروا إلى الملك باعتباره رأس الدولة والمسؤول عن إدارة كل شؤونها. وهو أيضًا صاحب أمحرا وقد أطلق على الملك قديمًا لقب النجاشي Nagast[1]، ثم تغير اللقب في

1 -Jones and Monroe: op. cit , p.63.

العصور الوسطى (كما سبقت الإشارة) إلى لقب "الحطي"[1]، حيث استحدث هذا اللقب عندما أصبح له ملوك تابعون لهم سلطات تقارب سلطته لكنهم يعملون تحت إمرته لذلك أطلق عليه بعض المؤرخين في هذه الفترة لقب ملك الملوك، كما أطلق عليه البعض الآخر الإمبراطور[2].

أما عن سلطات الإمبراطور الحبشي، فهي لم تقف عند حد معين، فقد امتلك الإمبراطور زمام الأمور المدنية والحربية بل والقضائية، كما تدخل كذلك في بعض الشؤون الدينية. وهكذا يمكن القول أن نظام الحكم في المملكة كان نظامًا استبداديًا يستند إلى حق إلهي مقدس يمثله كل إمبراطور يرجع نسبه إلى منليك الأول[3]، وقد سبقت الإشارة خلال الفصل التمهيدي إلى أنه في حالة وفاة الإمبراطور دون ترك وريث من أبنائه المباشرين، كان يتم اختيار الإمبراطور الجديد من بين أولئك الذين يرجع أصلهم لنفس النسب والموجودين بجيل الملوك "أمبا جيشن"، وليس أدل على ذلك من اعتراف زرء يعقوب نفسه في أحد مؤلفاته أنه عندما نزل من هذا الجبل على أيدي قادة الجيش ليتسلم العرش[4] "أمر بإقامة الصلاة"[5].

وإذا كانت سلطات الإمبراطور كما سبق القول تكاد تكون سلطات مطلقة، فإنه من بين سلطاته المهمة سلطة تعيين حكام المقاطعات المختلفة، والذين أطلق عليهم أبجاز - بخلاف (لفظ Siyum)[6] ومنحهم

---

1 - القلقشندي: المصدر السابق،جـ4، ص 322.

2 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124.

3 - Trimingham: op. cit.pp. 65-66.

4 - Roland Oliver: op.cit.p.164.

5 - Taddesse tamrat: op.cit., p.152.

6 - لقب يطلق على حاكم القرية. انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص376، Budge: op.cit., p.581.

كافة صلاحيات الإمبراطور ولكن داخل حدود مقاطعاتهم فقط[1]، لدرجة أن الإمبراطور نفسه كان يتوقف عن استخدام سلطاته عند زيارته لأحد المقاطعات، ليكون خضوع سكان هذه المقاطعة لحاكمهم أولًا قبل خضوعهم للإمبراطور، فحاكم المقاطعة له سلطات مطلقة داخل حدود مقاطعته طالما أنه يخضع في النهاية للإمبراطور في نطاق الشروط المبرمة بينهما عند توليه لمهام منصبه، وخلاصة القول أن الإمبراطور الحبشي كان يعين حكام المقاطعات ليديروا مقاطعاتهم نيابةً عنه[2].

2- مكانة حكام المقاطعات

لم يكن حكام المقاطعات جميعًا على درجة واحدة من المكانة، بل اختلفت مكانتهم باختلاف قوتهم، والمجد القديم لمقاطعاتهم، وكذلك باختلاف الطريقة التي وصلوا من خلالها الى الحكم، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى وجود فئتين من حكام المقاطعات، الفئة الأولى هي ما يمكن أن يطلق عليها الحكام الوارثون، والذين وصلوا إلى الحكم قبل تولي الإمبراطور الجديد العرش، وكان أهم ما يميزهم هو حقهم في توريث سلطة الحكم لأبنائهم، أما الفئة الثانية فهي فئة الحكام المعيَّنون والذين وصلوا إلى الحكم عندما انضمت مقاطعات جديدة إلى المملكة الحبشية عن طريق الغزو، حيث تم تقسيمها إلى محافظات ومناطق حكمت من قبل أقارب الإمبراطور، وبعض ضباط الجيش، ورجال

1 - كان الملك في مقاطعته يجلس على عرش ذهبي مماثل لعرش الإمبراطور الحبشي، وله مجلس يجتمع فيه كبار الأمراء ورجال المقاطعة، وكانت له شارات ملكية مصنوعة من الفضة وكذلك سنان رمحه، كما كان لهم أن يرث أبنائهم الحكم من بعدهم ولكن كان تعيينهم بيد الإمبراطور الحبشي، كما كان من حقهم أن يعينوا أمراء من دونهم خاضعين لهم.. للمزيد من التفاصيل: القلقشندي: المصدر السابق،جـ4، ص 332،
Sergew Hable Selassie: op, cit., p.124 see also Taddesse tamrat: op. cit., pp.11-15

2 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.54.

الدين[1]، ممن عينهم الإمبراطور الجديد بنفسه[2]. ويذكر أن فئة الحكام الوراثين كان لديها من القوة والسمعة والسيطرة ما يفوق سلطة فئة الحكام المعينين، فقد تحصن الحكام الوارثون بالقوة العسكرية التي كانت تحت أيديهم، لأنهم اعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيين للمملكة، خاصة خلال فترة ضعف بعض الأباطرة[3]، في الوقت الذي أدت بعض العوامل صغر مساحة مقاطعات الحكام المعينين، وحداثة فتحها إلى إضعاف سلطة هؤلاء الحكام عليها[4].

أما عن اختلاف مكانة حكام المقاطعات باختلاف قوتهم، فقد حظي الحكام الذين استطاعوا تشكيل فرق عسكرية كبيرة الحجم بمكانة أكبر بكثير من أولئك الذين لم يتمكنوا من جمع مثل هذه الفرق العسكرية، وعن اختلاف مكانة الحكام وفقًا لاختلاف مكانة المقاطعة ذاتها، يمكن القول أن أكبر الحكام مقامًا هو حاكم منطقة تيجري والذي أُطلق عليه "الباحرنجش"[5]، حيث استمدت مقاطعته قوتها قديمًا من خلال

---

1 - لقد اعتبر مثقفو وقيادات الكنيسة والرهبان مثالًا للخدمة في الإدارة المركزية وقد عينوا حكامًا في المناطق الجديدة والمحافظات المختلفة، وكانت هذه الفكرة على يد عمدا صيون لكنها طبقت في عهد زرء يعقوب لأنه كان ذا قوة إدارية وعسكرية كبيرة. انظر:
- Mordechai Abir: op, cit., p.60

2 - Sergew Hable Selassie: op, cit., p.98.

3 - المعروف أن أولاد هؤلاء الحكام كانوا يحصلون على تثبيتهم كحكام لمقاطعات أبيهم، طالما أعطى كل منهم يمين الولاء والطاعة للإمبراطور، وأن ولاء هذا الحاكم المحلي كان يتضح عن طريق عملين أساسيين هما: جمع الضرائب التي يحتاجها الإمبراطور عن المقاطعة، والحضور على رأس فرقته العسكرية إلى الإمبراطور متى يُطلب منه ذلك.

4 - يرى بعض الباحثين أن هناك تقسيمات تظهر من خلال المخطوطات الخاصة بالمناطق الحبشية تبين أن هناك إمارات أقل حجمًا من الممالك. انظر:
- Huntingford: The glorious victories of amda tseyon p. 119.

5 - يطلق على الباحر نجش أيضًا لفظ "القاص"، وهو أحد المناصب المحلية التي كان الإمبراطور يعينها ويعطيها سلطات واسعة وأعطي للباحر نجش، وهو يعني بصورة مختصرة "حافظ المنشة الملكية " بينما يذكر بدج أنه حاكم البحر وهو لقب حاكم جنوب الحبشة. انظر:

Budge: op. cit., p.581.

وجودها داخل منطقة أكسوم وما بها من آثار دينية لا بد من حمايتها فضلًا عن وجود تابوت العهد بها[1]، كما استمدت قوتها حديثًا من خلال موقعها الجغرافي على ساحل البحر والذي أضفى عليها ثراء اقتصاديًا[2]. ما يؤكد المكانة المرموقة لحاكم تيجري[3] أنه أضيف إلى سلطاته عدة مناطق أخرى تجاه ساحل مصوع، مثل سيري[4] وسروري[5] وخماسين[6] وبور[7].

وأيًا كان حجم المكانة التي حظي بها كل حاكم، فلقد كان الضمان الوحيد لبقائه هو مواظبته على دفع الإتاوة وأداء الواجبات الإقطاعية الأخرى إلى الإمبراطور، فضلًا عن التزامه بالحضور على رأس فرقته

---

1 - Taddesse tamrat: op.cit., p.97.

2 - يذكر أن هذه المقاطعة كان لها أهمية تجارية كبرى، يكفي أنها كانت تزخر بالجياد العربية الأصيلة، كما كانت سوقًا للسلع الواردة من مصر وبلاد العرب. انظر:
Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea ,p.62.

3 - لقد عهد عمد صيون إلى إحدى زوجاته وهي بلن سبا بحكم مقاطعة أنتاريا Intarta، كما أعطى إدارة التيجري لإحدى بناته وهي بحر ساجا Bahr Sagad، وذلك لضمان أكبر قدر من الولاء له، وكانت هذه عادات ملوك السليمانيين منذ أول ملوكهم يكونو أملاك الذي منح بعض السلطات لأكبر أبنائه. انظر:
Taddesse tamrat: op.cit., p.106see also Mordechai Abir: op.cit., p.54.

4 - سيري: هي مقاطعة في تجري بشمال الحبشة، تقع قرب نهر التكازي والمدينة الرئيسة فيها هي دبر أبادي. انظر:
Huntingford: The glorious victories of amda tseyon,p.22.

5 - سروي أو سروا: مقاطعة تقع في شمال الحبشة، قرب خماسين وسيري في تجري. انظر:
Huntingford: op.cit., pp. 22,82

6 - خماسين: مقاطعة في شمال ما يعرف حاليًا باسم " أديس أبابا" قرب سيري. انظر:
- Edward Ullendorff: op. cit , p.23.

7 - بور: إمارة تقع ما بين سروري وخماسين عند نهر ماراب، وقد أكد الأب الفاريز أنها تقع تحت سلطة الباحرنجش. انظر:
- Huntingford: op.cit., pp.97-98.

العسكرية في حالة خوض الإمبراطور للحرب أو متى يطلب منه ذلك، أما عن مدة تعيين الحكام فلم تكن هذه المدة محددة بل كانت غير ثابتة[1].

3- أهم المناصب الحربية في المقاطعات

فيما يلي عرض موجز لأهم المناصب الحربية للمقاطعات المختلفة بالمملكة الحبشية، مع إشارة إلى اختصاصات ومهام كل منها:

أهم المناصب الحربية

ባሕትወደጭ:

أ- منصب الوزير الأول Bitwadotch

وهو يعد من أكبر المناصب الإدارية والعسكرية في المملكة الحبشية، حيث يعلو على منصب حاكم المقاطعة ذاته وذلك في حالة مرور الموكب أو المعسكر الإمبراطوري على هذه المقاطعة. ويقرر بلندل أنه كان يعطى للشخصين اللذين يأتيان بعد الإمبراطور في علو العظمة والشرف ويمنحه الإمبراطور لمن يتمتع بثقته[2]. وبناءً على ذلك فقد انقسم هذا المنصب لشخصين مختلفين[3]، أحدهما يكون على يمين الإمبراطور والآخر على يساره، وقد اختص الأول بشؤون الحرب في حين يبقى الثاني معسكرًا في البلاط الإمبراطوري كحارس للإمبراطورية ومنظم للشرائع والقوانين معتمدًا في ذلك على السلطات الواسعة المخولة إليه من قبل الإمبراطور[4]. ويذكر أن ذلك المنصب لم يكن معروفًا في الإمبراطورية

1 - Mordechai Abir: op, cit., pp.54-55

2 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص378،

Blundell (w.): The Royal Chronicle of Abyssinia 1769/1840, Cambridge,1922,pp.321,508.

3 - Blundell (w.): op.cit.,p.508.

4 - Taddesse tamrat: op.cit., p.273 see also Budge: op.cit.pp.580-581.

الحبشية قبل عهد عمد صيون، وقد نظر إليه المؤرخون باعتباره منصبًا عسكريًّا رفيع المستوى يفوق في مكانته وسلطاته منصب الحاكم العسكري للمقاطعة، لدرجة أن الإمبراطور الحبشي لم يكن ليسمح لأحد بمناقشته ولا رؤيته باستثناء شاغلي هذا المنصب[1]. حتى بدأ كل من يشغل هذا المنصب في امتلاك زمام أمور البلاد إلى أن زادت سلطاته عن حد معين وأصبحت تهدد مصالح الإمبراطور، ما دفعه للأستغناء عن هذا المنصب واستبداله بآخر ذي صلاحيات أقل[2]. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الأباطرة الأحباش قد اهتموا بتولية مهام هذا المنصب إلى أولادهم وأقربائهم الذين ربما يتوافر لديهم درجة أعلى من الولاء للإمبراطور، وليس أدل على ذلك من أن اللذين كانا يشغل هذا المنصب في عهد زرء يعقوب هو زوج ابنة الإمبراطور ليؤكد سيطرته على مقاليد الأمور[3].

ب- منصب الرأس Ras[4]

وهو من أعظم الألقاب التي يمنحها الإمبراطور لحكام المقاطعات وللقواد العسكريين، فهو منصب عسكري له تأثيره الواضح على مجريات الأمور والقضايا المختلفة بالإمبراطورية الحبشية. ويعد شاغل هذا المنصب بمثابة الحاكم العسكري للمقاطعة، والذي يختص بمساعدة حاكم المقاطعة في إدارة شؤون الحكم، أو بمعنى آخر فهو يعد بمثابة الأداة التنفيذية لأحكام وأوامر حاكم المقاطعة، وهو القائد الأعلى للجيش فيها، والذي يقوده زمن الحرب[5].أما عن طريق اختيار شاغلي

---

1 - في حين رأى بعض الباحثين أن هذا المنصب مدني وليس له علاقة بالمناصب العسكرية، انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 378.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص10-13، 94-95.

3 - Huntingford: The wealth of the kings ,p.12.

4 - المعنى اللغوي للرأس هو "نائب الإمبراطور" انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص 374.

5 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص99، كذلك

هذا المنصب فقد كان يتم الاختيار من بين طبقة النبلاء الوراثين القدماء في المقاطعات المختلفة والذين اعتبروا بمثابة الممثلين الرئيسين لقوى الإمبراطورية التقليدية خاصة تلك البعيدة عن العاصمة[1]، لذلك فقد تبوأ شاغلو هذا المنصب مكانة عالية في مقاطعاتهم فضلًا عما اكتسبوه من ولاء الجنود لهم، فضلًا عما اكتسبه صاحبه من قوة الشخصية[2].

ج- منصب الأزماتش[3]

وهو يعني قائدًا في الجيش (جنرال)، ويرأس كل من قائد الجناح الأيمن الذي يدعى (قنيازماتش)، وقائد الجناح الأيسر (جرازماتش) وهو منصب عسكري يلي منصب الرأس من حيث الأهمية العسكرية. ويعد شاغل هذا المنصب بمثابة قائد الفرقة العسكرية في المقاطعة[4]، كما أسند إليه أحيانًا بالإضافة إلى مهامه مهمة رئيس الديوان الملكي في المقاطعة. وقد امتلك شاغل منصب الأزماتش وكذلك منصب الرأس حق تعيين كل ما هو دونهما من موظفين عسكريين، وقد كان يتبع هذين المنصبين فرق عسكرية يتباين حجمهما وفقًا للظروف السياسية والعسكرية السائدة[5].

د- منصب الجراد

وهو من طبقة الضباط الذين منحوا سلطة الحق في مصادرة أملاك من يخالف أوامرهم، وقد منح هذا اللقب لحكام منطقة هدية

- Budge: op. cit. p. 579.

1 - Budge: op. cit. p. 312.

2 - Ullendorff: op. cit. p.67.

3 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص374.

4 - ويشير السير وليم بدج إلى أنه قائد لألف رجل عسكري. انظر: مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص م، كذلك:

- Budge:op.cit,pp.579-581.

5 - Budge: op.cit,p.580.

من المسلمين في الحبشة، حيث انقسمت مملكة هدية في ذاك الوقت إلى ثمانية إمارات، لكل منها جراد معين من قبل الإمبراطور نفسه بحيث يخضعون جميعًا له مباشرة ويعملون على تنفيذها[1]. كما يرفعون إلى الإمبراطور كل ما يرونه مخالفًا لأوامره، ولقد كانت مراسم تقليد الجراد تتم في العاصمة ويصاحبها إغداق من جانب الإمبراطور عليهم بالهدايا والمنح[2]. وهكذا يمكن القول إن منصب الجراد كان بالإضافة إلى مهامه العسكرية يعتبر مدنيًّا أيضًا في نفس الوقت.

وبالإضافة إلى المناصب سالفة الذكر، قام الإمبراطور الحبشي بدعم سيطرته التامة على البلاد، لذلك عمد إلى تعيين حاميات عسكرية في مقاطعات معينة كان معظمها في المقاطعات الإسلامية، والمقاطعات التي تقع على الحدود[3]. وقد أطلق على هذه الحاميات العسكرية مسميات رمزية ربما تعكس الهدف الذي عينت من أجله مثل "أرقواي يصرواجت" و"بدل صجنا" و"بأدل أمبا" و"بدل دب" و"بدل ند" و"بأدل مبراق" و"درقو يصرواجت"[4] و"جان جدب"[5].

---

1 - أطلق أيضًا على هذا اللقب لفظ "أمانو". انظر:
- Francisco Alvarez: op, cit ,p.427.

2 - زاهر رياض: مظاهر العلاقات، ص 54.

3 - وذلك لكي يُحكم السيطرة على بعض الحكام الثائرين ضد الإمبراطورية، خاصة أنه كانت هناك أسر لها نفوذ قوي وشبه استقلال ذاتي، وقد تمكن عمدا صيون من إسقاطهم عن طريق هذه الفرق وقام بتعيين رجال ليسوا من نسل آدم أطلق عليهم هلاستيوتت Halastiyotat من الطبقة الدنيا. للمزيد انظر:
Paul B. Henze: op. cit , p.66.

4 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص23.

5 - إضافة إلى هذه المناصب العسكرية كان هناك أيضًا العديد من المناصب المدنية نذكر منها رئيس القرية Shum وهو الذي يضطلع بأعباء الحكم في شطر صغير من المقاطعة، وتتماثل المهام الموكلة إليه مع تلك التي يقوم بها العمدة في مصر، ويزيد عليه حقه في امتلاك طبول الموسيقى والخدمة أثناء الحرب أسوة بشاغلي منصب الرأس. أما عن مكان إقامة شاغلي هذا المنصب فهي دار تسمى بيت نجاش (Soitan Negus) ومعناها دار الملك، والتي كانت تنتشر في كل المقاطعات ولا يستخدمها إلا شاغلو هذا المنصب. كما وجد أيضًا منصب الأدك شنطاط وهو يمثل أحد نواب الإمبراطور في

على أية حال، يمكن القول إن جميع المناصب السالفة الذكر، لم يحدد لها اختصاصات ومهام ثابتة في كل عهود الأسرة السليمانية، بل عمد كثير من الأباطرة على تغيير هذه الاختصاصات وفقًا لاحتياجات الإمبراطورية وتبعًا لرغبتهم الشخصية كذلك. فعلى سبيل المثال أجرى بئيد ماريام عدة تغييرات في اختصاصات شاغلي المناصب التي أنشأها والده زرء يعقوب، فقد عين "الصحافي لام"[1] في مناطق شوا وأمحرة وأنجوت والداموت بعد أن شغله في عهد أبيه "الراق مساريه"[2]، وعين "أزماتش" في مناطق بجه مدار[3] والذي كان في عهد أبيه هو "الراق مساريه" كذلك، وعين أيضًا في منطقة فطجار منصب أطلق عليه "هاسجوا"[4] بينما كان في عهد أبيه "الملكينا"[1] وبينما كان منصب الراق

المقاطعة، وهو من المناصب التي استحدثت للمساهمة في إدارة وتسيير أمور المقاطعات الحبشية في العصور الوسطى. للمزيد انظر:

Francisco Alvarez: op, cit ,p.234, Budge: op.cit,p.580, Huntingford: The glorious victories of amda tseyon,.p.88, Blundell; op,cit,p.509, and Taddesse tamrat: op.cit., pp.97,141.

1 - وهو من المناصب المدنية وهو أيضًا من المناصب القديمة جدًّا واختص شاغلو هذا المنصب بمهمة حصر وتسجيل ممتلكات المقاطعة من الماشية والأغنام وهو الأمر الذي يعكس اهتمام الأباطرة الأحباش بكل صغيرة وكبيرة في المملكة.

2 - راق مساريه أو راق ماسريه: يرد هذا اللقب في أكثر من صيغة لذلك تختلف التفسيرات حوله، فيرد في بعض النصوص بمعنى "سوط" بالأمهرية، أو بمعنى "عصا الحاجب" في الجعزية، ولكن يشير بعض الباحثين أنه كان موظف كبير في البلاط، وهو مسؤول عن إعطاء إذن الدخول للإمبراطور، أو هو مدير المراسم المسؤول عن الموائد الملكية. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

3 - وهي من الإمارات الصغيرة جدًّا في الحبشة، وهي تمتد بمحاذاة النيل لتصل إلى حدود أمارا وأنجوت ومملكة تجري. انظر:

Huntingford: op,cit,,pp.97-119.

4 - هيجنو أو هاسجوا: ليس هناك تفسير واضح لهذا اللقب، إلا أنه من الواضح أنه حاكم فاطجار في العصور الوسطى، وهو أيضًا يحمله اثنان من الأفراد. انظر مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 13.

مساريه هو المسيطر في إيفات فقد تغير إلى "ولاسماع" في عهد بئيد مريم، أما المنصب الوحيد الذي أبقى عليه بئيد مريم فهو منصب "الجراد" في هدية، كما تحول منصب "الراق مساريه" الذي كان منصبًا إداريًّا إلى منصب ديني يعني "معلم الدير"[2].

وبالإضافة إلى ما سبق فقد استحدثت أحيانًا مناصب جديدة حسب مقتضيات أمور الإمبراطورية لم يكن لها وجود فيما سبق، فعلى سبيل المثال استحدث زرء يعقوب منصب البحت ودد (الوزير الأول)[3]، والذي لم يكن له وجود قبل عهد ذلك الإمبراطور. كما يتضح من خلال استعراض هذه الألقاب والمناصب بصفة عامة، أن هناك ألقابًا تداخلت بعضها مع بعض فكان من الصعب أن يحدد لها صفة خاصة، فبعض الألقاب مزيج من اختصاصات عسكرية وأخرى مدنية، والبعض الآخر له صفات مدنية وأخرى دينية وهو الأمر الذي أدى إلى صعوبة تصنيفها مثل لقب "أزاج"[4] الذي يعني "قاض" كما يعني أيضًا (قائد)[5].

---

1 - منصب الملكينا: ويعد شاغلو هذا المنصب هم المندوبون المحليون للإمبراطور، الذين شغلوا وظائف الرؤساء الإداريين للمقاطعات الصغيرة، وكلفوا بعدة مهام منها فرض القانون وجمع الضرائب.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص100.

3 - وهو منصب الوزير الأول الذي سبق ذكره في المناصب الحربية.

4 - أزاج: المعنى الحرفي للكلمة هو رئيس أو آمر، وهو أمير وقاض في نفس الوقت، وهو لقب يرتبط بالقضاة الأربعة المختصين لمحكمة البلاط الملكي ويبتون في الدعاوى المدنية، وقد أصبح معناه فيما بعد "قائد" ومن هنا فقد أصبح لقبًا عسكريًّا ودينيًّا في نفس الوقت، بينما يذكر السير بدج أن صاحب هذا المنصب يشغل وظيفة وكيل خراج الملك ثم أصبحت بعد ذلك بمعنى "ناظر أملاك الملك" أو "أمين مالي". انظر محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص377.

5 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص382.